صاحبها ورئيس تحريرها
مدحت عكاش
MADHAT AKKACHE

الثقافة
مجلة ثقافية أدبية شهرية
دمشق ص ب ٢٥٧٠ هاتف ١٦٢٩١

ايلول (سبتمبر)
١٩٦٠
العدد الرابع
السنة الثالثة

منازع الفكر العربي

بقلم : الدكتور جميل صليبا

الموضوع الذي أريد أن أدير فيه الكلام في هذا الحديث ليس موضوعا سياسيا وانما هو موضوع فلسفي مبني على حقائق التاريخ . أقول هذا في بداية كلامي ، لا لاجرد بحثي من كل أثر سياسي أو توجيهي ، لأتمكن من الخوض فيه معكم بأسلوب موضوعي وحرية تامة . ان الموضوعات الفلسفية متصلة بالمسائل السياسية اتصالا وثيقا . ولكن الفكر العلمي يتطلب منا ان نبحث في هذه الموضوعات لذاتها ، دون أن نتأثر خلال البحث فيها بأي عامل سياسي . ومع ذلك فقد يكون لاختيار موضوع كموضوعي سبب سياسي بعيد ، وقد يكون للحقائق التي تضمنها نتائج عملية قريبة ، ولكن الفيلسوف لا يبحث في النتائج العملية قبل تقرير المبادىء النظرية ، ولا يحاول تطبيق الفكرة الا اذا تحققت لديه صحتها ، وقد يأخذ بالمبادىء ويترك لغيره تطبيقها ، هذا ما رأيت أن أنبه اليه في مستهل كلامي على منازع الفكر العربي .

لا تظنوا أيها السيدات والسادة انني سأحيط في هذا الحديث بمنازع الفكر العربي من جميع نواحيه ، فان الاحاطة بمثل ذلك تحتاج الى أن ينظر المرء في الفكر العربي قديمه وحديثه ، فيحلل وقائع التاريخ ، وينظر في التراث الثقافي ، ويستقرىء ظواهر الحياة السياسية، والفكرية، والاجتماعية والفنية ، والادبية في الماضي والحاضر ، وهذه شروط لا يمكنني أن اوفيها حقها من البحث في محاضرة واحدة . لذلك اقتصرت في محاضرتي هذه على البحث في منازع الفكر العربي من جهة واحدة ، وهي المنازع التي تتجلى لنا بوضوح في تراثنا الثقافي .

ومن الواجب علي أن أصرح في بداية هذه المحاضرة ، أنني لست أول من بحث في منازع الفكر العربي وتطوره ، فقد سبقني الى الكلام على ذلك كثير من الباحثين ، كقول الجاحظ : « كان العرب في بداية أمرهم أميين لا يكتبون ، ومطبوعين لا يتكلفون ، وكان الكلام الجيد عندهم أظهر وأكثر ، وهم عليه أقدر وأقهر » ، وقوله : « وكل شيء للعرب فانما هو بديهة وارتجال ، وكأنه الهام ، وليست هناك معاناة ولا مكابرة ، ولا اجالة فكرة ولا استعانة » ، وقول الشهرستاني : « من الناس من قسم أهل العالم بحسب الامم فقال : كبار الامم أربعة : العرب والعجم والروم والهند ، زاوج بين أمة وأمة فذكر أن العرب والهند ، يتقاربان على مذهب واحد ، وأكثر ميلهم الى تقرير خواص الاشياء ، والحكم بأحكام الماهيات والحقائق ، واستعمال الامور الروحانية ، والروم والعجم يتقاربان على مذهب واحد ، وأكثر ميلهم الى تقرير طبائع الاشياء والحكم بأحكام الكيفيات والكميات ، واستعمال الامور الجسمانية » ، وكقول (رينان) : « ان الصفة الاساسية التي تميز العرب من غيرهم هي الايمان بالتوحيد » ، وكقول (لابي) : « ان العقل العربي منجه الى الماضي في حين أن العقل اليهودي متجه الى المستقبل » ، وكقول (غوتيه) : « ان العقل العربي يحب الجمع بين الاضداد والاشباه ، فيضعها بعضها الى جانب بعض في نظام بسيط ، وينتقل فجأة من ضد الى آخر ، في حين أن العقل الآري

يتدرج في تقريب الاضداد بعضها من بعض ويوحدها في انسجام بالاستناد الى حدود متوسطة يحسن انتخابها ، فهذه الاحكام التي ذكرها الجاحظ والشهرستاني ورينان ولابي وغوتيه ، وغيرهم ، لم تبن على استقراء خصائص الفكر العربي استقراء تاما ، لان قول الجاحظ والشهرستاني لا ينطبق الا على عرب الجاهلية ، ولان دراسة (رينان) لطبيعة اللغات السامية لا تكفي للاحاطة بجميع ما يتصف به الشعب العربي في الماضي والحاضر من صفات فكرية وانفعالية وخلقية ، وكذلك ليس يصح أن نطلق ما قاله لابي وغوتيه على جميع الشعوب العربية، لان هذين العالمين لم يلاحظا الا سكان افريقية الشمالية، فحكما على الامة العربية كلها بما لاحظاه في مرحلة واحدة من مراحل تطورها وفي قطر واحد من أقطارها . فمن منكم يستطيع اليوم أن يصدق أن العقل العربي لا يتجه الا الى الماضي ، ألم يكن هم العرب الاول في أوج حضارتهم الاتجاه الى الحاضر والمستقبل معا . وهل قصرنا همنا في هذا العصر الاخير على الاتجاه الى ماضينا فقط . اننا لا ننظر الى الماضي الا لنستمد منه دعائم قوية تصلح لبناء مجتمعنا الجديد ، ولا نعتز بأمجادنا القديمة الا في سبيل اصلاح حاضرنا وبناء مستقبلنا . وهل أنا في حاجة الى القول أن العقل العربي ، استطاع أن يوحد الاضداد في انسجام كالعقل الآرى ، وان الحضارة العربية في مختلف مظاهرها وأدوارها تدرجت في تقريب الاضداد بعضها من بعض في الدين ، والفلسفة والعلم والادب والفن ، والفقه ، والتشريع والسياسة . لقد وحد الدين الاسلامي جميع الاجناس فصهرهم في بوتقة واحدة ، ووحد المجتمع العربي جميع الطبقات فجعل المواطنين جميعهم أخوة ، ووفق حكماؤنا بين العقل والطبيعة وبين الحكمة والشريعة . ومن الظلم أن نقول في أمة بنت غمدان وسد مأرب ، والجامع الاموي والمسجد الاقصى وقصور سامراء والفسطاط ، وقصر الحمراء وجامع قرطبة وسدود بلنسية انها لا تستطيع أن توحد الاضداد في انسجام . انني أكتفي الآن بهذه الاشارات السريعة تاركا تفصيل الكلام على هذه الناحية الى مجال آخر ، وأبدأ الآن بذكر منازع الفكر العربي كما بدت لي من خلال تراثنا الثقافي، وهي نزوع الفكر العربي الى النظر العقلي ، ونزوعه الى التجريب ، ونزوعه الى الشمول والاحاطة ونزوعه الى التوحيد ، ونزوعه الى الجمع بين مصالح الدنيا والآخرة، وميله الى الحرية والتسامح ، وسأبحث الآن معكم في كل اتجاه من هذه الاتجاهات على حدته .

١ ـ الاتجاه الاول هو اتجاه الفكر العربي الى النظر العقلي وايمانه بقدرة الانسان على الكشف عن الحقيقة. فالدعوة الاسلامية قامت على تنبيه العقل البشري وتوجيهه الى النظر في الوجود ، واستعمال القياس الصحيح ، والرجوع الى ما حواه الكون من النظام والترتيب واشتباك العلل والمعلولات ، ليصل بذلك الى القول أن للكون صانعا عالما حكيما قادرا بل أن خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار وتحريك الرياح وارسائها واثارة السحاب لانزال الماء ، واحياء الارض ، واثبات النبات ، وانعاش الحي ، كل ذلك آيات بينات تدعو العقل الى النظر في الوجود . لقد قال تعالى : الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والارض ، ربنا ما خلقت هذا باطلا ، وقال : واعتبروا ياأولي الابصار . ولو رحت أعد ما جاء في القرآن الكريم من آيات تحث على التفكير ، وتدعو الى استعمال العقل لاحتجت الى مجال أوسع من هذا المجال . ولكنني أكتفي بما ذكرت وأقول : ان الشرع جعل العقل للدين أهلا ، وللدنيا عمادا ، فعلق الدين الصحيح على كمال العقل ، وجعل الدنيا مدبرة بأحكامه ، وألف به بين خلقه مع تباين أغراضهم ومقاصدهم . وأنك لتجد في الحديث الشريف ما تجده في القرآن الكريم من دعوة الى استعمال الرؤية والفكر ، كقول النبي : لادين لمن لا عقل له ، وقوله فضل العلم خير من فضل العبادة ، وقوله أفضل الناس أعقل الناس ، وقوله لعلي رضي الله عنه : اذا تقرب الناس لخالقهم بأبواب البر فتقرب أنت اليه بعقلك ـ وفي آثار القدماء من علمائنا أقوال كثيرة تدل على شرف العقل ، وعلو منزلته ، وقدرته على الكشف عن الحقيقة . كقولهم كل عز لا يوطده علم مذلة ، وكل علم لا يؤيده عقل مضلة . وكيف لا يكون العقل أشرف الاشياء وبه كما يقولون صار الانسان خليفة الله ، وبه تقرب اليه ، وبه تم دينه . قال أحد شعرائنا :

اذا تم عقل المرء تمت اموره
وتمت أمانيه وتم بناؤه

وقال آخر :

اذا أكمل الرحمن للمرء عقله
فقد كملت أخلاقه ومآربه

وقال آخر :

كذب الظن الا امام سوى العقل مشيرا في صبحه والمساء

فهذه الاقوال وغيرها تدل على شرف العقل وعلو منزلته عند العرب ، بل العقل عندهم دعامة الدين وينبوع الفضائل والآداب ، لا يخلو من التنويه بقيمته كتاب من كتب الاخلاق والفلسفة ، ولا كتاب من كتب الاخبار والادب .

وقد نشأ عن نزوع الفكر العربي الى النظر العقلي فرق فلسفية كثيرة دعت الى الاعتماد على سلطة العقل ، والى القول بحرية الارادة . كالمعتزلة الذين قالوا بالتوحيد

والعدل والوعد والوعيد ، والمنزلة بين المنزلتين والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وذهبوا الى أن العقل نور في القلب يعرف الحق من الباطل والخير من الشر والحسن من القبيح ، وكالفلاسفة الذين قالوا ان سعادة الدنيا والآخرة لا تنال الا بالعقل ، ومع أن هذه المذاهب أدت الى صراع عنيف بين أصحابها وخصومهم فاما الذين حاربوهم من علماء الكلام لم يسلموا هم أنفسهم من التأثر بمبادئهم حتى لقد قال أحد الباحثين : ان من نازل عدوا لزمه أن يلاحقه في حركاته وسكناته وقيامه وقعوده، فتؤثر فيه طريقة العدو وتدعوه الى اتخاذ موقف معين منه • وليس تأثير العدو في معركة الافكار أقل من تأثير الحليف فيها حتى أن بعض الحنابلة شكا ان بعض أصحابه انقطعوا الى الرد على الملحدين انقطاعا أدى بهم الى الالحاد ، فلا غرو اذا أدى رد المتكلمين على المعتزلة والفلاسفة الى تأثرهم بطريقتهم فسلموا أولا بصحة العقائد تسليم مؤمن بها من الشرع ولكنهم حاولوا دعمها بالادلة العقلية والاساليب الفلسفية فأطلقوا للعقل العنان في الذود عن حياض الدين ، وكان زعيمهم أبو الحسن الاسدي أعظم من اتخذ العقل آلة للدفاع عن السنة ، حتى جاء الغزالي فحدد نطاق العقل ، وأنكر الاعتماد عليه وحده في ادراك الامور الالهية ، وموقف الغزالي هذا مخالف لموقف الفلاسفة الذين قرروا ان العقل قادر على ادراك كل شيء ، به يميز الانسان الحسن من القبيح، والخير من الشر ، وبه يدرك المبادىء الضرورية والحقائق العلمية والامور الآلهية ، فهو اذن في نظرهم يوصل الى اليقين ، لا بل هو المحك الاخير للحقيقة ، على زندة تقدح كل معرفة ، وبنوره يستضيء كل انسان ، وهو أساس العلم والفضيلة ، ومبدأ الخير والسعادة • لقد أكثر هؤلاء الفلاسفة من الكلام على العقل ومراتبه حتى جعلوه الها ، ويكاد يكون هذا التأليه للعقل أبلغ صفة تفردت بها الفلسفة العربية ، فلا امام عند أصحابها سوى العقل وكل شيء ماخلا العقل باطل ، فأنتم ترون أن الفكر العربي اصطبغ بتأثير هذه المذاهب الدينية والفلسفية بصبغة روحانية ، حتى لقد زعم بعضهم ان صور الفكر العربي في الادب والفلسفة والفن مشتملة على التخلخل والتشعب وأنها لم تبلغ ما بلغته صور الفكر الاوروبي في عصر النهضة من التماسك واليقين ، وان اسلوب العرب في البحث العلمي ظل اسلوبا غيبيا ، لاقتصاره على البحث في طبيعة الاشياء ، وفي الاسباب الاولى ، والعلل الكاملة، والماهيات المجردة ، والحقائق المطلقة ومع أن الفكر البشري مر على التوالي كما يقول (اوغوست كونت) بثلاث حالات مختلفة الاولى لاهوتية ، والثانية غيبية ، والثالثة يقينية ، فان الفكر العربي قد وقف عند الحالة اللاهوتية والغيبية دون أن يصل الى الدرجة الاثباتية والوضعية •

أيها السيدات والسادة

لا أريد الآن أن أناقش قانون الاحوال الثلاث الذي جاء به (اوغوست كونت) ، فقد يكون هذا القانون صحيحا ، وقد يكون محتاجا الى التعديل ، ولكنني أقول انه من الخطأ الاعتماد على هذا القانون لانكار قيمة المفكرين الذين عاشوا في زمن لم تبلغ فيه العلوم التجريبية ما بلغته في عصر (اوغست كونت) من التقدم • فكيف بالفكر العربي ، وقد تجاوز في القرون الوسطى الحالة اللاهوتية والغيبية وأطل على الحالة الوضعية • لقد اقتبس العرب من اليونان خير ما في طريقتهم من نزوع عقلي ، وأضافوا الى ذلك خير ما في منازعهم الفكرية من ميل الى الملاحظة والتجريب ، فجمعوا على هذه الصورة بين الروح والمادة ، وبين العقل والطبيعة • وهنا نصل الى

٢ – الاتجاه الثاني للفقر العربي وهو ميله الى الملاحظة الحية والتجريب ، أن الشعر العربي مملوء من الصور والمجازات والاستعارات المقتبسة من عالم الحس، وكذلك كتب الحكمة والاخلاق والادب فهي تصور الفضائل والاداب تصويرا مشخصا مشتملا على الامثلة الحسية • أما كتب الطبيعة ، والكيمياء ، والطب والفلك ، فانها لا تقتصر على الاحكام النظرية المجردة ، بل تشتمل على كثير من الملاحظات والتجارب ، فالاطباء يذكرون مجرباتهم • وعلماء الطبيعة والكيمياء يقيمون التجارب لاثبات صحة أحكامهم ، وعلماء الفلك يضعون الزيجات ويقيسون ابعاد الكواكب ومقاديرها • دع أن الطب كان يدرس في المستشفيات والفلك في المراصد ، وعلماء الجغرافيا كانوا يقومون بالرحلات على اختلاف أنواعها ليطلعوا على أحوال البلدان والاقاليم • ولولا اعتماد الرازي وعلي بن عباس وابن سينا وعلي بن عيسى وابن نفيس على الملاحظة والتجريب ، لما استطاعوا أن يضيفوا الى علم الطب ما أضافوه من أمور مبتكرة في الاغذية ، والادوية ، والتوليد، وعدوى السل ، وانتقال الامراض ، ودورة الدم ، وأمراض العين وغيرها • لقد بنى المأمون مرصدا فلكيا في بغداد ، ومرصدا آخر على جبل قاسيون في دمشق ، وبنيت بعد المأمون مراصد فلكية كثيرة ، لا يتسع المجال لذكرها الآن ، فلولا هذه المراصد لما استطاع البستاني أن يصل الى معرفة الكسوف ، وتحديد طول السنة ، والفصول ، ولما استطاع البيروني أن يحدد خطوط الطول والعرض ، ويبحث في دوران الارض حول محورها • ماذا أقول هل كان في وسع علمائنا أن يصلحوا التقويم، وأن يضعوا قوانين المد والجزر التابعة لظهور القمر

وغيابه وأن يصححوا بعض آراء بطليموس لولا اعتمادهم على الملاحظات الفلكية .

ان هذا الاعتماد على الملاحظة والاستقراء هو الذي أعان ابن خلدون على تأسيس العلم الجديد ، الذي سماه بعلم العمران ، فهو يلاحظ الظواهر الاجتماعية ويوازن بينها ويتأملها للوقوف على طبائعها وعناصرها الذاتية وعلائقها بعضها ببعض ، وهو يمحص الاخبار ويعرضها على شاهد التجربة وتحكم العادة ويردها الى معيار النظر العقلي والدليل البرهاني ويحاول تعليل الظواهر الاجتماعية بالعوامل المؤثرة فيها . لم يكن ظهور ابن خلدون حادثا شاذا في تاريخ الثقافة العربية ، بل كان نتيجة تطور طويل لمنازع الفكر العربي واتجاهاته . ألم يسبقه علماء الفقه الى تعليل الاحكام الشرعية بالمقاصد، ألم يسبقه علماء الحديث الى قواعد التعديل والتجريح ، ألم يجد هو نفسه في كتب الحكماء السابقين مسائل شبيهة بالمسائل التي ذكرها في مقدمته ، فلولا تقدم الفكر العربي وبلوغه الذروة في عصره لما استطاع أن يسلك هذا المسلك الوضعي في ملاحظة الظواهر الاجتماعية.

لم يكن العلم العربي في اسبانيا مجرد براعة فكرية فحسب بل كان علما مطبقا على الفنون والصناعات ، فكان العرب في القرون الوسطى يمثلون التفكير العلمي الذي تمثله اليوم أوروبة الحديثة ، لم يحتقروا المختبرات العملية في علم الطب وعلم الآليات وعلم الكيمياء وغيرها من العلوم بل آمنوا بقيمة التجريب ، واستخدموا العلم في خدمة الحياة الانسانية حتى لقد ورثت أوروبة عنهم ما نسميه اليوم بالروح البيكونية التي تتخذ العلم وسيلة للسيطرة على الطبيعة ، وقد اثبت التحقيق التاريخي أن العرب هم واضعوا قاعدة (جرب واحكم) فطبهم تجريبي ، وفلكهم تحقيقي ، وهندستهم تطبيقية ، وكيمياؤهم عملية . نعم أنهم لم يصلوا في العلوم التجريبية الى الدرجة التي وصلت اليها أوروبة الحديثة ، ولكن مشاهداتهم الصحيحة ، وملاحظاتهم الدقيقة هيأت أسباب تكون العلم الحديث . انك لا تنصف ابن سينا اذا قلت أنه مقصر عن (كلود برنار) في وضع قواعد الطب التجريبي ، ولا تحكم على ابن خلدون حكما عادلا ، اذا قلت انه مقصر عن (اوغوست كونت) ودوركهايم في معرفة قواعد الطريقة الاجتماعية ، ان الموازنة الصحيحة بين العلماء تحتاج الى ان ينسب كل منهم الى زمانه ، ومتى أدخلنا عامل الزمان في الموازنة أدركنا أن لكل كشف علمي شروطا خارجية تابعة لدرجة تقدم العلم ، وما يوفق له العلماء في زمان لا يوفقون له في آخر .

٣ ـ والاتجاه الثالث للفكر العربي هو ميله الى الاستيعاب والاحاطة ، ونعني بهذه الاحاطة عناية العرب بجميع العلوم على السواء ، خلافا للرومانيين الذين لم يكن لهم في العلوم الفلسفية والحكمة أثر عميق ، فبرزوا في الاخلاق ، والحقوق ، والادارة ، والسياسة ولم يبرزوا في الفلسفة والرياضيات والفلك والكيمياء ، لقد أدت هذه الرغبة في الاحاطة الى اقبال العرب على نقل جميع العلوم الى لغتهم والى استيعابها في مدة قصيرة . ابتدأ دور النقل في زمان بني أمية واتسع نطاقه في عهد المنصور ، وبلغت حركة الترجمة في عصر المأمون درجة ليس فوقها زيادة لمستزيد ، نعم ان جانبا كبيرا من العلوم العربية كان قد أورق وأينع قبل ابتداء حركة الترجمة كالعلوم الدينية والشرعية ، والعلوم اللسانية والتاريخ وعلم البلدان ، ولكن العلوم الاخرى كالطب ، والفلسفة والرياضيات ، والفلك والكيمياء ، لم تزدهر في الدولة العربية الا بعد اتساع حركة الترجمة ، فكان للعرب في هذه العلوم فضل الحفظ والابقاء أولا ، ثم فضل الاختراع والابتكار ثانيا ، ويندر أن يجد الناظر في تاريخ الامم الماضية حركة فكرية بلغت من السعة والشمول ما بلغته حركة الترجمة عند العرب . فقد كان حنين ابن اسحق يدير أعمال الترجمة في عهد المأمون ، وكان المأمون يعطيه وزن الكتب التي كان يترجمها ذهبا ، ولا أذكر سائر المترجمين ، من الصائبة والنسطوريين وغيرهم : فانهم لم يعملوا على نقل العلوم اليونانية والفارسية والهندية الى اللغة العربية فحسب ، بل عملوا بصورة غير مباشرة على حفظها ونقلها الى العالم أجمع . واذا قيل أن حركة الترجمة لم تشمل ترجمة كتب الشعر والاساطير اليونانية، قلنا ان اعراض العرب عن ترجمة هذه الكتب لا يغير حكمنا عليهم بالميل الى الاحاطة ، لانهم وجدوا في دينهم وشعرهم وأدبهم ما يغنيهم عن ذلك ، ولولا هذا المانع الديني لاقبلوا على ترجمتها كغيرها من الكتب ، وقد أعانهم على هذه الترجمة اتساع لغتهم وقدرتها على الشمول والاستيعاب فاشتقوا من المواد الاصلية مصطلحات عربية أصيلة لا تشم من خلالها رائحة الترجمة حتى لقد أصبحت هذه المصطلحات وما يناسبها من المعاني مرتبطة بعضها ببعض ارتباط الاشارة بالشيء المشار اليه أو ارتباط الصورة الحسية بالشيء المحسوس ارتباطا محكما . وأصبحت اللغة العربية بذلك لغة ثقافية شاملة تتسع لجميع العلوم لا تجاريها في هذا الشمول والاحاطة لغة من لغات العالم لانها من أوسع اللغات وأكثرها مرونة وأعظمها اشتقاقا وأيسرها اتساعا للتعبير عن خوالج الفكر ودقائق العلم . واذا كنا نجد اليوم بعض السهولة في نقل العلوم الحديثة الى اللغة العربية فمرد ذلك الى ما وضعه أسلافنا القدماء من اصطلاحات فنية فتحت لنا الطريق ويسرت لنا سلوكه . واذا كنا نقبل بينهم على

ترجمة جميع العلوم فمرد ذلك أيضا الى ما ورثناه عن أجدادنا من حب الاستيعاب والاحاطة ، ويكفى أن تدرس العلوم في جامعاتنا باللغة العربية حتى تحصل لنا فيها ملكة تعيننا على الاسهام في تقدمها ٠

٤ — الاتجاه الرابع للفكر العربي هو الميل الى التوحيد، فالعرب يعتقدون أن الله واحد لا أول لوجوده ولا آخر لأبديته ٠ وفلاسفتهم يؤمنون بوحدة المعرفة والحقيقة ووحدة الدين والفلسفة ٠ المعرفة والحقيقة متفقتان لان العقل واحد ، والحكمة والشريعة متفقتان لان الحقيقة واحدة ٠ نعم ان الحقيقة تنتقل من زمان الى زمان فتختلف صورها وتتبدل رموزها ولكن جوهرها واحد لا يتغير ٠ ومع ان معظم فلاسفة العرب قد نهجوا نهج ارسطو فانهم لم يحفلوا بثنائيته ولا قالوا بقدم العالم على النحو الذي ذهب اليه ، حتى أن بعض غلاة الصوفية وحدوا بين الله والعالم وقالوا بوحدة الوجود ٠ وهذا الميل الى التوحيد يتجلى أيضا في كلام فلاسفتنا على الصفات الالهية، نظروا في الصفات الآلهية فرأوا أن يردوها أولا الى صفة واحدة كالعلم والقدرة ، ثم حاولوا أن يجعلوها عين الذات ، ثم رأوا أن يسلبوها عن ذات الله فاذا قالوا انه تعالى عالم فمعنى ذلك عندهم نفي الجهل عنه ، واذا قالوا انه عادل فمعنى ذلك نفي الجور عنه ، فتعدد الصفات ولو أدى اذن في نظرهم الى كثرة في ذات الله لانه كما يقول ابن سينا واحد لا يصدر عنه الا واحد ، فعلمه لا يخالف قدرته ، وارادته لا تباين عمله بل هو واحد من كل وجه ٠

ولعل أحسن دليل على ميل العرب الى التوحيد رأيهم في وحدة الدين والفلسفة ٠ فلولا هذا الميل الى التوحيد لما حاول الفارابي أن يجمع بين رأيي افلاطون وآرسطو، ولما أخذ ابن سينا بنظرية الفيض المتوسطة بين القول بقدم العالم والقول بحدوثه ، ويمكن أن يعد كتاب فصل المقال لابن رشد اكمل ما انتهت اليه الفلسفة العربية في مسألة الجمع بين الدين والفلسفة لان الحقيقة الدينية لا تختلف في نظر هذا الفيلسوف عن الحقيقة الفلسفية، بل الفلسفة في نظره صاحبة الشريعة واختها الرضيعة ٠

ان هذا الميل الى التوحيد هو المحرك الاساسي للفكر العربي في ماضيه وحاضره ، فهو يؤمن بوحدة العقل ووحدة النفس ، ويعتقد ان الطبيعة الانسانية واحدة في جميع الناس وهو يؤمن بالوحدة ايمانه بالمساواة، ويؤمن بالمساواة ايمانه بالحرية ٠ لقد كان الشامي ينتقل في الماضي من الشام الى الاندلس فلا يجد نفسه غريبا فيها وكان المغربي ينتقل من فاس الى تونس ومن تونس الى مصر فيجلس للتدريس في مدارسها كأنه في وطنه الاصلي ولم يكن هنالك فرق بين بغداد ودمشق ولا بين دمشق والقاهرة ، بل كان أبناء البلاد العربية جميعهم اخوة لا تفاضل بينهم الا بالتقوى ، وزاد في تقوية وشائج القربى اتصال البلاد العربية بعضها ببعض وارتحال الناس من بلد عربي الى آخر في طلب الرزق أو طلب العلم ، وأي وحدة أقوى من وحدة تقوم على وحدة اللغة ووحدة المنازع والمشاعر ووحدة التاريخ ووحدة المثل العليا ، لم يؤثر انقسام الشعوب العربية الى دول مختلفة في تبديل ايمانها بوحدتها ، ولا استطاع الاستعمار من أن يضعف مقوماتها رغم بقائه في بلادها مئات السنين ولو ان ما حل بالشعوب العربية من النكبات حل بغيرها لقضى عليها في زمان قصير ، الا أن قدرة الشعب العربي على المقاومة بلغته وثقافته ومشاعره ومنازعه وطبيعة كيانه جعلته يتغلب على أشد النكبات ، ولا يزال نزوع الفكر العربي الى الوحدة يدفع الشعوب العربية الى العمل على تأليف دولة عربية واحدة تمتد من الخليج العربي الى المحيط الاطلسي، فاذا لم تدرك هذه الوحدة الكاملة الشاملة لم تلق عصا الترحال ولم تستقر على حال من الاحوال ٠

٥ — والاتجاه الخامس للفكر العربي هو الجمع بين مصالح الدنيا والآخرة ، فهو لا يقبل على الدنيا دون الآخرة ولا على الآخرة دون الدنيا ، بل يجمع بينهما في وزن واحد من الاتساق ٠ لقد قال الشاعر العربي :

ما أحسن الدين والدنيا اذا اجتمعا
وأقبح الكفر والافلاس في الرجل

وقال الرسول : ليس خيركم من ترك الدنيا للآخرة ولا الآخرة للدنيا ، ولكن خيركم من أخذ من هذه وهذه٠ ومن القواعد المألوفة عند العرب ان صحة الابدان مقدمة على صحة الاديان حتى لقد أباح الدين الاسلامي لأهله التجمل بأنواع الزينة والتمتع بلذات الدنيا شريطة الاقتصاد والاعتدال والوقوف عند الحدود الشرعية ٠ وهذا كله يدل على أن للفكر العربي اتجاهين أحدهما روحي مثالي ، والآخر حيوي دنيوي ، ولولا ذلك لما أقبل العرب على العلوم الدينية والعلوم الكونية معا ٠ لقد كان الشعور الديني أول حافز على طلب العلم ، فكان الناس يتعلمون القراءة والكتابة لقراءة كتاب اله، وكانوا يتعلمون الحساب لحساب الزكاة وتقويم أوقات الصوم وكانوا يتعلمون النحو لوقاية السنتهم من اللحن في تلاوة القرآن ، وقس على ذلك سائر العلوم كالتفسير والحديث والفقه وغيرها ، نعم ان هذا الاتجاه الديني كان في العصر الاسلامي الاول أوضح من الاتجاه الدنيوي فكان عمر بن الخطاب ينام على الارض تحت نخيل البقيع بين الفقراء لا يفكر في الاستمتاع بما هيأه له منصبه من أسباب الرفاهة ٠ ولكن لما انتقلت دار الخلافة من المدينة الى دمشق وبغداد أخذ الخلفاء يشيدون القصور المحلاة بالنقوش والمزينة بالجنان والرياض ، والمفروشة بأفخر الرياش ، ويعنون بالعلوم الكونية عنايتهم بالعلوم الشرعية فانشأ المنصور مثلا مدارس للطب والشريعة معا وأمر الرشيد بأن يلحق بكل مسجد مدرسة لتعليم العلوم بأنواعها وجاء المأمون بعد ذلك فوصلت دولة العلم في

عهده الى أوج قوتها ويعد هذا العصر العباسي أحسن مثال للجمع بين الدنيا والآخرة . نعم ، لما ظهر الفساد وكثرت المعاصي وانغمس الناس في الملاهي قام المصلحون يطالبون باحياء علوم الدين ويقولون ان كل علم لا يحمل صاحبه على طلب الآخرة ولا يعينه على الوصول اليها فهو وبال على صاحبه ، حتى لقد جعل الغزالي طلب العلم وسيلة للآخرة لا للدنيا ، غرضه التقرب الى الله لا الرياسة والجاه ، ولكن الذين دعوا الى احياء علوم الدين لم ينشروا دعوتهم الا لاعتقادهم ان الدين الكامل علم وذوق عقل وقلب فكر ووجدان ، وان العقل والوجدان لن يتخالفا حتى يكون الانسان الواحد انسانين والوجود الفرد وجودين . بل الدين الكامل في نظرهم يأمر بالجمع بين مصالح الدنيا والآخرة ويحض على الاشتغال بالعلوم الكونية والعلوم الدينية معا . فاذا دعوا الى علوم الدين فهم انما يدعون اليها لانقاذ الامة من الفساد ، فليس اتجاههم هذا اعراضا عن الدنيا وانما هو اتجاه ذو عينين احداهما تنظر الى الدنيا والثانية تنظر الى الآخرة .

وقريب من هذا الجمع بين مصالح الدنيا والاخرة ميل الفكر العربي في أيامنا هذه الى الجمع بين الماضي والمستقبل . فهو ينظر باحدى عينيه الى ماضيه وبالاخرى الى مستقبله ، ينظر الى الماضي نظر الجائع الى الزاد الدفين ، وينظر الى المستقبل نظر الساري الى الكوكب المضيء ، فيستمد من الماضي والمستقبل معا مادة البناء الجديد وصورته ويجمع في هذا الاستمداد بين العقل والطبيعة وبين المثل الاعلى والواقع فيما دل ان يحسن الواقع ويرقى به الى مستوى المثل العليا ، ويحاول أن يبدع المثل العليا الجديدة ويحققها في الوجود .

٦ – والاتجاه السادس للفكر العربي هو الميل الى الحرية ، فقد كان الفقيه والمتكلم والمحدث والنحوي والمتأدب والفيلسوف والفلكي والمهندس يجلسون للتدريس في المسجد أو في المدرسة التابعة للمسجد ، فينتقل الطالب من بين يدي الفقيه ليجلس بين يدي الفيلسوف ، ومن مجلس الحديث الى مجلس الادب ، واذا دار الحديث بين العلماء عن مسألة من المسائل أخذت الحرية مأخذها في المناظرة والاقناع والالزام وأخذ التسامح بينهم مأخذه ، وكثيرا ما كانت المناظرة تقع بين المسلمين وغير المسلمين في جو فسيح من الحرية . لقد كانت مدينة البصرة في المائة الثانية عاصمة حركة فكرية عظيمة يجتمع فيها العلماء لينازعوا الثانوية والدهرية في أمور التوحيد ، ويناظروا المجبرة في الجبر والاختبار والثواب والعقاب ويردوا على المشبهة في صفات الله والتجسيم ، وكانت بغداد في عصر المأمون مسرحا للمناظرات الفكرية الحرة يفتح الخليفة بابه للعلماء ويشاركهم في مناظراتهم ويردهم الى جادة الصواب عند خروجهم منها . يروى أن المأمون قال لحاجبه يوما من في الباب من أصحاب الكلام فخرج وعاد اليه فقال : بالباب أبو الهذيل العلاف وهو معتزلي وعبد الله بن أباض الخارجي وهشام بن الكلبي الرافضي ، فقال المأمون ما بقي من أعلام جهنم أحد الا وقد حضر . فانظروا الى هذا الخليفة كيف يجالس العلماء على اختلاف مذاهبهم لا بل كيف يصغي الى مناظراتهم وهو يعتقد أنهم من أعلام جهنم . لقد كان أبو الهذيل العلاف يناظر اليهود والمجوس على السواء ، وكان الناس يحكمون له أو عليه بحسب تقيده بقواعد المناظرة . وكتاب الحيدة الذي وصل الينا يصف الينا مناظره جرت في مجلس المأمون تتجلى فيها حرية الرأي بأجلى مظاهرها . ولم تكن هذه الحرية الفكرية خاصة بطائفة دون طائفة بل كان الناس في التمكن منها سواء ، وانما كان التفاضل بين الناس بالعلم والعمل والانتاج والفضل في ذلك كله للخلفاء الذين أخذوا على أنفسهم تشجيع العلماء والتسامح معهم حتى لقد بلغ الامر ببعضهم في اطلاق حرية الرأي ان صان الفلاسفة من شغب العامة بهم . نعم ان بعض أرباب الفكر قد أخذه السيف لغلوه في فكرة فلم يترك له من الحرية ما يبلغ به غايته ، وليس يصح أن ننكر ما صنع المنصور بالزنادقة أو ما آل اليه أمر الحلاج والسهر وردى وابن رشد وغيرهم . ولكننا اذا تقصينا هذه الحوادث وجدناها ناشئة عن أسباب سياسية أو أسباب شخصية أدت اليها السعايات والوشايات . فان كثيرين ممن أخذتهم القسوة من العلماء لم يقع لهم ما وقع الا بالحسد والاغراء ، أو بالخوف من استفحال الامر في الدولة بسبب غلوهم في نشر أفكارهم وبث دعوتهم . واذا كان بعض الامراء ينكل بالفلاسفة أو يأمر باحراق كتبهم فمرد ذلك الى ضعف سلطانه ورغبته في ارضاء الناس . وليس ايذاء الفقهاء للفلاسفة بأقل من ايذاء الفقهاء للفقهاء أنفسهم ، وهذا كثيرا ما يقع في الدول لاسباب مختلفة أهمها اضطراب السياسة واضطرار الحكام الى التدخل في الامر حفظا للنظام العام ، فيؤخذ صاحب الفكر لا لانه تفكر بل لانه أراد أن يفرض فكره على غيره بما رآه من الحرية لنفسه . ولو اقتصر صاحب الفكر على التفكير الخالص لما ناله من تفكيره شيء . ألم يحكم على سقراط بالموت للخوف من استفحال الامر في أثينا بسبب دعوته ، ألم يصب غاليلي وديكارت واسبينوزا وغيرهم بما أصيب به بعض فلاسفة العرب من نكبات . ان الامر الذي تخشاه الدولة في كل زمان ومكان هو تزعزع قواعد الحكم ، فاذا لم تجد في الدعوة الى بعض الافكار خطرا على نظامها العام لم تنكل بأحد . واذا وازنا الآن بين الدولة العربية وغيرها من الدول وجدنا الدول العربية أكثر الدول تسامحا في حرية العلماء فادى اطلاقها لحرية الفكر الى هذا النماء العقلي الذي شهدناه في تاريخها .

٧ – ومما يدل على هذا الميل الى التسامح ان الخلفاء

والامراء كانوا يقدمون العلماء على اختلاف نحلهم ومذاهبهم ويولونهم أعلى المقامات ، ويحيطونهم بكل رعاية واحترام . ولست في حاجة الى ان اذكر لكم ما احيط به العلماء المسلمون من رعاية ، ولكنني اذكر لكم بعض العلماء المسيحيين الذين وسعتهم الدولة العربية وقربتهم وشملتهم برعايتها ، وولتهم أعلى المناصب وفوضت اليهم كثيرا من الاعمال الجسام . لم تكن الدولة العربية تنظر اذ ذاك الى البلد الذي عاش فيه العالم ولا الى الدين الذي ولد فيه ، بل كانت تنظر الى مكانته من العلم ، فاذا كان عالما ولم يكن مسلما قربته لاعتقادها أن رتبة العلم أعلى الرتب . واذا سمحتم لي الآن بذكر دليل على رعاية الدولة للعلماء المسيحيين ذكرت لكم قصة جورجس بن بختشوع الذي اشتهر بالحظوة عند المنصور ، كان هذا العالم طبيبا وفيلسوفا معا فعلت منزلته عند المنصور . لعلمه وفضله وصدقه واخلاصه ذكروا انه كانت له زوجة عجوز فأشفق عليه المنصور وأنفذ اليه ثلاث جوار حسان فردهن وقال ان ديني لا يسمح لي بأن أتزوج غير زوجتي ما دامت حية فأعلى المنصور مكانته حتى على وزرائه ، ولما مرض أمر المنصور بحمله الى دار العامة وخرج اليه ماشيا يسأل عن حاله . فاستأذنه الحكيم في الرجوع الى بلده ليدفن مع آبائه ، فعرض عليه المنصور الاسلام ليدخل الجنة فقال رضيت أن أكون مع آبائي في جنة أو نار فضحك المنصور وأمر بتجهيزه ووصله بعشرة آلاف دينار وأوصى من معه بحمله اذا مات في الطريق الى مدافن آبائه . وممن حظي بالمكانة العليا عند الرشيد يوحنا بن ماسوية ولاه الرشيد ترجمة الكتب القديمة ووضع جميع المدارس تحت مراقبته ، ومنهم يوحنا البطريق الذي أقامه المأمون أمينا على ترجمة كتب الطب والعلم والفلسفة ، فماذا أعد لكم من العلماء المسيحيين الذين كرمتهم الدولة العربية ، هل أذكر حنين بن اسحق أم أذكر متى بن يونس أم أذكر قسطا بن لوقا البعلبكي ويحى بن عدى ، أظن أن مجرد ذكر هذه الاسماء كاف للبرهان على ما كان للعلماء على اختلاف مذاهبهم من منزلة رفيعة في الدولة العربية . لقد سوت الدولة العربية بين العلماء المسلمين وغير المسلمين بميزان واحد ، وكان ميزانها العادل دليلا على تسامحها واحترامها لحرية الاعتقاد ، وما اضطرب هذا الميزان الا عندما تغلب رؤساء الجيش من الترك وغيرهم على الخلفاء العرب واستبدوا بالسلطان دونهم ، وصارت الدولة في قبضتهم ، فأهملوا العلم والعلماء ، وقبضوا عنهم يد المعونة ، ووضعوا للعامة في الدين ما يبغض اليهم العلم ويبعد نفوسهم عن طلبه فصار المتأخر يقول بما قال به المتقدم لا يجتهد في رأي ولا يضيف الى العلم شيئا جديدا ، فوقف الفكر العربي عن التقدم لفقدان الحرية والتسامح وسيطر الجمود على العقول وجني على اللغة العربية وأساليبها وآدابها كما جنى على العلم والفن والنظام والاجتماع والسياسة .

سادتي ، هذه بعض منازع الفكر العربي عرضتها عليكم في أهم عناصرها وأدق مقوماتها وهي النزعة العقلية والنزعة التجريبية والميل الى الاحاطة ، والميل الى التوحيد والميل الى الجمع بين مصالح الدنيا والآخرة ، والايمان بحرية الفكر والميل الى التسامح . ولا حاجة بي الى القول أن هناك منازع أخرى كثيرة لا يتسع المجال لذكرها هنا ، كالكرم والوفاء ، والشجاعة والاخاء ، والعزة والاباء ، والمروءة والدهاء والذكاء والالهام وبلاغة المنطق ورجاجة الاحلام . ولو رحت أذكر لكم ما قاله في العرب أهل المعرفة والانصاف من فلاسفة الاوروبيين وعلمائهم لاحتجت الى كتابة سفر كبير ، ولكنني أكتفي بذكر كلمة قالها بعض الحكماء الغربيين ، قال : ان العلوم التي كانت عند اليونانيين وغيرهم ميتة بين دفات الدفاتر ، مقبورة بين جدران الكتب مخزونة في بعض الرؤوس كأنها أحجار ثمينة لا حظ للانسانية منها سوى النظر اليها صارت عند العرب حياة الاداب وغذاء الارواح وروح الثروة وقوام الصناعة ومهمازا للقوى البشرية يسوقها الى كمالها الذي عدت له . وليس في الاوروبين الذين درسوا التاريخ وحكموا العقل من يستطيع أن ينكر أن الفضل في اخراج أوروبة من ظلمة الجهل الى ضياء العلم وفي تعليمها كيف تنظر وكيف تفكر وكيف تجرب وكيف تشاهد انما هو للعرب وآدابهم ومعارفهم التي حملوها اليها من اسبانيا وجنوبي ايتاليا وفرنسة وقال آخر : « ان العرب أول من علم العالم كيف تتفق حرية الفكر مع استقامة الدين » . وفي هذه الاقوال كما ترون اعتراف بفضل العرب وتقدير لمزاياهم الفكرية ، وربما كان من الواجب علينا في نهضتنا الحديثة أن ننشر ما قاله فينا أهل المعرفة والانصاف من علماء الغرب حتى يعرف الناس ما كان للحضارة العالمية ، فان بعض الذين اصيبوا بمركب النقص لا يزالون يعتقدون أننا لا نستطيع أن نجاري الاوروبيين في علومهم وفنونهم وصناعاتهم فلعلهم اذا عرفوا ما كان عليه العرب في ماضيهم ، وما وصلوا اليه الآن بعد نهضتهم ولما يمض عليها الا القليل يقدرون أنفسهم حق قدرها ويدركون قيمتهم واثرها في التطور العالمي ، وهل في هذه الآثار خفاء على ناظر . وهل يرضى لبيب لنفسه أن ينكر الضوء الباهر ، أفلا تبتسم العروبة عجبا وهي في أشد أيام نضالها لعقوق بعض أبنائها من شعوبي ينكر فضل العرب ، وعربي لا يعرف تاريخ أمته ولا يعتز بماضيه ولا يتهيأ لمستقبله . ولكن العروبة أيها السيدات والسادة تهزأ بهؤلاء المخالفين وترثي أشد الرثاء لحال هؤلاء العاجزين لعلمها بأن في كيانها الداخلي مقومات تضمن لها البقاء وتدفعها الى تجديد حياتها وتدعوها الى السير في طريق التقدم حتى تبلغ غايتها والسلام عليكم .

جميل صليبا

المسرح في الاقليم الشمالي

بقلم : الدكتور ابراهيم الكيلاني

في تاريخ الفنون أن نهضة المسرح عند أمة من الامم تعقب دوما الاحداث والانقلابات القومية الكبرى ، فاذا وعت الامـة وجودها واستيقظ شـعورها بالعزة القومية واعتدت بالانتصارات التي حققتها على نفسها وعلى غيرها التمست في المسرح انعكاسا صادقا لوجودها ومثلها الروحية والادبية . وقد أثبت التاريخ أن المسرح ميزان حساس لرقي الامم وجدارتها بالحياة فكلما عظمت عنايتها بـه وأنزلته منزلة الحاجة الثقافة الملحة والغذاء العقلي والعاطفي الضروريين عظم نصيب تلك الامة من الرقي وارتقت صعدا في السلم الحضارية .

ولذا كان من الطبيعي ونحن في غمرة انقلابنا الانشائي أن تظهر في الاقليم بوادر يقظة مسرحية استأثرت باهتمام الجمهور فلم تعرف البلاد دورا كثر فيه الـكلام عن التمثيل والممثلين وتقصي أخبار النشاط المسرحي ومناقشة الآثار ونقد المذاهب والاساليب الاخراجية كمـا عرفت في أيامنا هذه حتى ليخيل للمرء أن الناس أصيبوا بحمى التمثيل وان هذا أصبح مرضا من أمراض العصر .

ولكن هذا الوعي المسرحي الذي أخذ ينتشر رويدا رويدا ويتبلور كظاهرة فكرية واجتماعية لا بـد وان يكون مصحوبا بطبيعة الحـال بمشاكل عديدة يقتضي بعضها حلا سريعا كانشاء المسارح والمعاهد العالية لتعليم الممثلين والمخرجين .. ويبقى حل بعضها الآخر موقوفا على تكامل الوعي المسرحي في الجمهور وانتشار الثقافة والمعرفة وامتداد الحياة الاجتماعية الآخذة بالنظم الحديثة الى غير ذلك من المظاهر التي يعيش المسرح فيها ولها .

تقوم الحياة المسرحية في كل زمان ومكان على أعمدة ثلاثـة : الجمهور والمؤلف والممثل . ولنتكلم عن كل في حدود الوقت المخصص لهذا الحديث . ولعل أولى المشاكل التي تعوق التطور المسرحي عندنا فتجعله بطيئا متثاقلا بل مثبطا للهمم والنزعة التجديدية التي يفرضها تطور نمط الحياة المعاصرة هي تلك الفجوة الكبيرة التي تفصل بـين المسرح والجمهور . فـان هـذا الجمهور لم يعرف حياة مسرحية مستقرة ذاتيـة متتابعة شأن الاقليم الجنوبي الـذي آلت اليـه جهود رواد المسرح في الشرق العربي أمثال ابي خليل القباني ومارون النقاش وغيرهما .



فقد قفزنا منذ اتصلنا بالغرب في نهايـة الحرب العالمية الاولى دون تمهيد الى السينما فلم يكن للجمهور عندنا سوى اتصال متقطع بالفرق العربية المصرية التي كانت تفد الى الاقليم في زمن كان أهله يرزحون تحت وطأة حكم الاجنبي الـذي كان يدرك مدى تأثير المسرح في بعث الشعور وتحبيب الحرية وخلق مجالات الانطلاق والثورة بين طبقات الشعب فكان عمله متفقا تماما مـع ظاهرة انعدام المسرح أو تقهقره في عهود التغلب والبطش والاستبداد . فلم يجـد الجمهور لـكي يشبع نزعاته المكبوتة وحاجته الى اللهو واطلاق الفائض من مخزون الهزات والانفعالات والعواطف بدا من التهافت على السينما التي جذبتهم بأضوائها المغرية ومفعولها السحري . ومن المعلوم ان العالمين السينمائي والمسرحي متناقضـان في وسائلهما وغاياتهما وتأثيرهما كمـا يختلفان في المحتوى الثقافي والنفسي والتهذيبي .

ان هذا الفراغ المسرحي الذي دام أكثر من نصف قرن قد خلق أوضاعا لا تزال نعاني مساوئها الى الآن فهو الذي مكن للسينما من طبع عقلية الجمهور بطابع السرعة والسطحية والتبلد الحسي والفكري والبعد عن الجهد العقلي والنقدي حتى غدا من الصعب نقل جمهور اعتاد النمط الصوري السينمائي الى جو مسرحي يتجسد فيه النص الادبي وتزينه جاذبية الوجود الحي وسحر الصوت الانساني •

ومما زاد القضية تعقيدا أن اقفار الساحة المسرحية قد سهل لعناصر من الهواة والمحترفين ان تحتلها وان تخلق في اذهان الجمهور صورا بل تقاليد مسرحية خاطئة ومشوشة انحرفت به عن روح المسرح الحقيقي ، ان هذه الطبقة من الهواة والمحترفين التي ارتفعت بحكم نشأتها وأوضاعها من الاسفل الى الاعلى والتي ضحت كثيرا لابقاء هذا الوهم المسرحي كانت مضطرة بحكم ضرورات العيش وحب البقاء الى تملق الجمهور في أذواقه ونزواته ومسايرته في كسله العقلي وسطحيته واظهار المسرح بمظهر هزيل غث مصطنع يطرد عكسيا مع ارتقاء السينما وامتدادها الفني واستيعابها للموضوعات والمشاهد والصور في اطار من القوة والجاذبية والاغراء لا يقدر الانسان الحديث على الصمود أمامها •

كل هذا حدا بالمضطلعين بمهمة انشاء المسرح على اسس صحيحة الى محاولة هدم عادات راسخة واقامة أخرى على انقاضها والعمل بمختلف وسائل الاغراء والتحبب وتحمل التضحيات على ايجاد صلة بين الجمهور والمسرح حتى يأنس به ويستكين اليه فتنمو عنده عادة ارتياد المسرح شبيهة بعادة ارتياد دور السينما •

ومما يزيد في صعوبة العمل أيضا اختلاف الجمهور في نوعيته وانقسامه الى فئات مختلفة في تكوينها الذهني وميولها الفنية والفكرية فهي شبيهة بالهرم تبدأ القمة بالطبقة المثقفة تثقيفا عاليا متباينا في منابعه وصفاته ثم تنحدر حيث طبقة الشعب وكلما انحدرت تضاءل مفهوم المسرح كاداة تثقيفية ممتازة حتى يصل الى درك التسلي والاضحاك كوسيلة وغاية • ولعل في التجربة التي قامت بها وزارة الثقافة والارشاد في ايجاد المسرح الشعبي الى جانب الفرقة القومية تمثل في الاول المسرحيات الشعبية الموجهة وفي الثانية روائع الادب العربي والعالمي ما يعجل بخلق الوعي المسرحي الذي يسهل أداء الرسالة المسرحية على وجه كامل أما القضية الثانية التي تعترض النهضة المسرحية عندنا فهي قضية التأليف المسرحي اذ من غير المعقول أن تعيش أمة متوثبة شاعرة بكيانها كأمتنا على نتاج غيرها ، فهناك نوعان من النتاج الفني : محلي ذاتي ينبعث من اصالة الامة يكتبه أدباؤها ومفكروها فيعبرون عن مشاكلها وآمالها وروحها ومذاهبها الادبية والفكرية ونتاج عالمي مشترك ينحو فيه كاتبه منحى انسانيا شاملا يرتفع به فوق الحدود والخصائص الذاتية المعبرة عن روح أمة في زمان ومكان محدودين فهو تراث للانسانية جمعاء تعتز به وتنهل منه على السواء •• وفي الحق فاننا ما زلنا مقصرين في كلا النوعين التأليف الذاتي والمشاركة بالنتاج العالمي مشاركة صحيحة ، وقد اثبتت الوقائع والتجارب ان المسرحية المؤلفة عندنا عاجزة في حالتها الراهنة عن مسايرة حاجات المسرح العربي فان أكثر ما يمثل اليوم هو اما مترجم أو مقتبس عن الادب الاجنبي وأما المؤلف منه فيغلب عليه الطابع الحواري الممل أو الذهني الملفق المجرد من عنصر الدراما في محتواها العاطفي أو الشعوري الجذاب •

واذا ما أردنا التعمق في دراسة هذه المشكلة وجدنا أن الاسباب الاولية تعود الى أن التأليف المسرحي نفسه عمل صعب لا يدرس كما تدرس بقية العلوم والفنون فهو يقتضي قدرة ومواهب نادرة وخصائص ذهنية معينة يندر اجتماعها في شخص واحد يمثل ذلك جملة قالها برنارد شو عند ما سئل عن صعوبة التأليف المسرحي : « اما أن يكون التأليف المسرحي سهلا للغاية أو يكون مستحيلا ، وقد ينفع الدأب والاجتهاد واذا لم يصب المبتدىء نجاحا فوريا دون متاعب فالاجدر به أن يعدل عن التأليف الى الابد لانه لن يكون مؤلفا مسرحيا » • وفي الحق فان التأليف المسرحي عمل يقوم على موهبة

حقــد ...

شعر : حامد حسن

كوخي تراقص في العراء على أكف الزمهرير
نثر القطيع ، قطيع أطفالي على مزق الحصير
ألآكلين – على مرارة جوعهم – ألم الشعور
والليل ، ليل الرعب ، ينشر فوقهم صمت القبور
والحقد ، حقد الجوع ، في جنبي محتدم الهدير
أطعمته جسدي ، وساومني لاطعمه ضميري
لا ... لن أعيش على الفتات ، فتات مائدة الأمير

* * *

كوخي تراقص في العراء على أكف الزمهرير
فالشمس ، والنسم المخضبة الجوانح بالعطور
تستأذنان علي عابرتين من نفق صغير

* * *

أنا كالدجى العربيد خيم بين أجفان الضرير
كالذل ، تشرق بي ... تغص ... تموت أجفان الفقير
وحكاية عذراء لم تهمس بها شفتا سمير
والدرب ، درب الكوخ يسخر بي ، ويهزأ من غروري
أطعمته عرقي ... دمي ... قدمي ... أتعبه مسيري
وامتص ما أبقاه في عيني من ومضات نور
وتشهت القطرات من قدمي ناتئة الصخور
لا ... لن أعيش على الفتات ، فتات مائدة الأمير

أصيلة معقدة تفرض على المؤلف معرفة خفايا النفس الانسانية وتقلباتها تلك المعرفة المستمدة ليس من تجارب الحياة فحسب بل من الوحي أو الالهام الذي هو جزء من الخيال المبدع المركز نحو المسرح ، ان هذا الخيال المبدع مفتقر الى شرطين أساسيين لا غنى لاحدهما عن الآخر في بناء مسرحية بناء متينا محكما : شرط نفسي يتجلى في القدرة على النظر للوقائع بمنظار الدراما الحركية المشوقة ومسرحي ويتجلى في القدرة على تفتح الحياة في الوقائع والاشخاص تغلفهما موهبة التآلف مع الشخصيات في تعددها وازدواجها وتموجها والقدرة على الامتزاج بها والعيش معها .

واذا قارنا في المسرح الكلاسيكي بين شخصيات شكسبير أو موليير التي تتفاعل في عوالمها المسرحية وتتناقض في صراع عنيف يثير التفكير ويهز المشاعر وبين شخصيات أحمد شوقي الذي عجز في مسرحياته عن استغلال عنصر الدراما الذي هو حجر الاساس في الفن المسرحي لظهر الفرق واضحا بين العبقريتين الغربية والشرقية وذلك لان شوقيا مشاعر غنائي شديد الالتصاق بذاتيته وهو بالرغم من تملكه موهبة الخيال المسرحي الذي يتيح له خلق الحركة الخارجية في شخصياته وابطاله فقد كان ينقصه الخيال النفسي الذي يشهد صراع النفوس وتمزقها في الداخل ، بل ينقصه هذه الالفة الانسانية التي يستمدها عباقرة المسرح من أعماق نفوسهم ليخلعوها على الآخرين محققين بذلك تعريف أحد أبطال المسرح اليوناني نفسه عندما قال : أنا انسان وليس كل ما هو انساني بغريب عني ! .

وبعد فان التأليف المسرحي عمل تركيبي بعيد عن الارتجال فهو وليد حضارة راقية وثمرة مجتمعات ذات ماض مسرحي عريق وارتقاء مرموق في ميادين الحضارة والوعي الاجتماعي وهو أكثر ما يكون ازدهارا ورسوخا عند الامم التي يشكل الادب التمثيلي جزءا من كيانها القومي وخبزها اليومي .

وكم كنت أود لو يرعوي هؤلاء المتأدبون الذين يتطفلون دون روية واستعداد على التأليف المسرحي ظنا منهم أن التمثيلية كلمات ترصف وحوار يدور بين سؤال وجواب .

السجن الكبير

« مسرحية في فصل واحد »

بقلم : الدكتور محمد حاج حسين

الطبيب علاء في غرفة المكتب بمنزله يطالع احدى المجلات الطبية • وبين الفينة والاخرى يتطلع بقلق وأسى الى الساعة المعلقة على الحائط • الساعة الثانية بعدمنتصف الليل •• وفجأة يسمع رنين جرس الباب فيهرع اليه ليجد زوجه قد عادت من سهرتها •

علاء : لقد تأخرت ياسميحة •

سميحة : أولا •• قل : أهلا وسهلا••وثانيا : ابتسم • وثالثا : قبلني •

علاء : (يحاول أن يرسم على ثغره ابتسامة) ها قد ابتسمت •

سميحة : انها ابتسامة مصطنعة •• يجب أن تبتسم من قلبك •

علاء : ولكن •• لماذا تأخرت حتى هذه الساعة ؟ •

سميحة : ألم أقل لك ربما أتأخر قليلا •

علاء : قلت لي ستعودين في الساعة العاشرة •

سميحة : ان ذاكرتك قصيرة ياحبيبي •

علاء : هل يحق لي أن أسألك لماذا تأخرت حتى هذه الساعة ؟

سميحة : كانت الحفلة عظيمة •• وكنت أول من غادرها بأسف شديد •

علاء : وهل تأسفين لمغادرتك لها في مثل هذه الساعة؟

سميحة : طبعا • انها ستمتد حتى الفجر • وهي حفلة الموسم •

علاء : اني أشم رائحة الخمر من فيك •

سميحة : وحياتك لم أذقها •

علاء : انك تترنحين ••

سميحة : (مقاطعة) لم أشرب الخمر أبدا •

علاء : أنا متأكد أنك شربتها •

سميحة : شربت « بيرة » فقط •

علاء : أليست البيرة خمرا ؟ •

سميحة : ومن أين جئت بهذه الفلسفة ؟ •• البيرة بيرة •

علاء : انها خمر •

سميحة : وماذا يعني ؟ •• كل صديقاتي شربن البيرة •• والويسكي •

علاء : أما أنت ، فيجب ألا تشربيها أبدا •

سميحة : ما المانع ؟ • ألم يشربها بعض الخلفاء ؟ •

علاء : انهم أحرار •• ولكن أنت •• يجب ألا تشربيها أبدا •

سميحة : ياحسرتي عليك ياعلاء •

علاء : ولماذا تتحسرين علي ؟ •

سميحة : لانك تبقى قابعا في البيت •• لا تبيح لنفسك اللهو البريء ، فحياتك شغل ومطالعة •• ألا تضجر من هذه الرتابة القاتلة ؟ •• تمتع ياأخي بحياتك •• أخرج من هذا السجن الكبير الذي فرضته على نفسك •

علاء : فلسفة فارغة لا معنى لها ••

سميحة : (تحاول أن تبكي) : كل صديقاتي يتأسفن على حظي •

علاء : ولماذا يتأسفن على حظك ؟ •

سميحة : انهن يقلن : مسكينة سميحة لقد وهبها الله

جمالا رائعا وعقلا كبيرا ، ولكنها رزقت بزوج رجعي ..

علاء : وكيف عرفن أنني رجعي .

سميحة : وهل تحتاج رجعيتك الى دليل ؟ لماذا لا تغشى الحفلات معي ؟ لماذا تأبى علي أن أقيم حفلة في بيتنا لصديقاتي وأزواجهم ؟ (وتجهش بالبكاء) .

علاء : ولكن هذا النمط من الحياة لا يروق لي .

سميحة : لماذا لا يروق لك ؟ لماذا لا تفتح عينيك على الحياة الجديدة ؟ اننا الآن في عصر النو .. انطلقنا من سجوننا التي وضعتنا فيها التقاليد. ألا تقرأ في الصحف ؟ . كل يوم حفل لانتخاب ملكة جديدة .

علاء : الذي أعرفه أن عصر الملوك انتهى .

سميحة : صحيح . الملوك انتهوا ، ولكنه عصر الملكات.

علاء : الملكات ! ..

سميحة : نعم ياعلاء الملكات .. ملكة الجمال ، ملكة الربيع ، ملكة الصحف ، الخ .. الخ ..

علاء : وماذا يعنيني من هذا ؟

سميحة : طبعا لا تهتم الا في عيادتك ومرضاك .. واذا رجعت الى البيت تأبى أن تشاركني في حياتي الاجتماعية ، وتؤثر أن تطالع في هذه الكتب التي لا تنتهي .. تحرر من قيودك ..انطلق من هذا السجن القاسي الذي فرضته على نفسك ..

علاء : اذا خرجت معك الى حفلات صديقاتك أكون متمدنا ..

سميحة : طبعا .

علاء : ومنى ورجاء ومحمد لمن نتركهم ؟ .

سميحة : لام رفيق .. انها تحنو عليهم ، وتحبهم أكثر منا .

علاء : ولكن قلبي لا يطاوعني أن أتركهم لعناية الخادم .

سميحة : ولماذا هذا التحرج ؟ .

علاء : انهم أطفال بحاجة للرعاية ..

سميحة : تأكد أن أم رفيق ترعاهم أكثر منا .

علاء : فليكن .. ولكن لا بد لنا أن نهب حياتنا كلها لهم .

سميحة : تعني .. أن أحرم نفسي كل متع الحياة لاجلهم .

علاء : وما المانع ؟ .

سميحة : انك تحاول أن تقبر شبابي .. لا تنس أنني لا أزال في الخامسة والعشرين من عمري .

علاء : ألا نتام ؟ .

سميحة : ولماذا نتام ؟ .. ان الحياة قصيرة . أتريد أن يضيع نصفها بالنوم ؟

علاء : ولكنني يجب أن أكون في الساعة الثامنة في عيادتي .

سميحة : لا تخف . سنرتاح بعد قليل ، ولكن بعد أن تعدني بأنك ستحضر معي حفلة صديقتي مطيعة خانم .

علاء : ولماذا أحضرها ؟ .

سميحة : لاننا سننتخب ملكة الاناقة .

علاء : وهل للاناقة ملكة ؟ .

سميحة : بكل تأكيد . وسأتقدم الى المسابقة .. ولا بد أن أفوز .

علاء : أنت تتقدمين لهذه المسابقة .

سميحة : وهل هنالك أكثر أناقة مني ؟ .

علاء : لا ..

سميحة : وبهذه المناسبة سأفصل ثوبا خاصا يضرب جميع المتقدمات على وجوههن .

علاء : ولكن عندك أكثر من ثلاثين ثوبا .

سميحة : لا تخف . انه لن يكلفك أكثر من ألف ليرة .

علاء : ألف ليرة دفعة واحدة .

سميحة : وماذا يعني ؟ ما دمت سأفوز بلقب ملكة

الاناقة .

عـلاء : وماذا نفيد من هذا اللقب العظيم ؟ .

سميحة : ستتحدث عني الصحف ، وستنشر صورتي ، وسيأتي مندوبوها لاخذ الاحاديث مني ولن ينقطع رنين الهاتف في بيتنا ، يحمل الينا عبارات الاعجاب والتهنئة . انها فرصةالعمر ياعلاء .

عـلاء : أتريدين رأيي بصراحة ؟ .

سميحة : نعم .

عـلاء : أنا لن أسمح لك بحضور هذه الحفلة .

سميحة : علاء .. ماذا أصابك ؟ .

عـلاء : لا شيء ..

سميحة : هل تضيع عليهذهالفرصة لاجل ألف ليرة ؟.

عـلاء : خذي ألفين ، ولا تحضري هذه الحفلة .

سميحة : ولكن لماذا ؟ .

عـلاء : لانني لا أريد أن أكون مضغة في الافواه .

سميحة : ألا تؤمن بالملكات ؟ .

عـلاء : أنا أريدك زوجة لا ملكة ..

سميحة : (تمسح دموعها) انك تقضي علي بالموت .

عـلاء : لن أسمح لك بعد الآن بحضور أية حفلة .

سميحة : انك تحارب التطور والتقدم والمدنية . انك تريد أن ترجع بنا الى القرون الوسطى .

عـلاء : المهم عندي أن تمتنعي عن هذه الحفلات

سميحة : لن أمتنع ما دام نفسي يتردد في صدري .

عـلاء : أنت حرة .

سميحة : ماذا تعني ؟ .

عـلاء : أعني ، اما أن تطيعيني ، واما ..

سميحة : أتهددني ؟ .

عـلاء : أنا لا أهدد أحد . ولـكنني لا أستطيع أن أوافق على هذه الحفلات اللعينة .

سميحة : وما الذي تأخذه عليها ؟ .

عـلاء : ألا يكفي أنها حفلات مشتركة بين الرجال والنساء ؟

سميحة : وهل الرجال حيوانات مفترسة ؟ ألم يخلقنا الله ذكورا واناثا لنتفاهم ؟

عـلاء : ان تربيتي تأبى علي هذا .

سميحة : أؤكد لك أن جميع الرجال الذين يحضرون هذه الحفلات هم في منتهى الرقة والادب .. كلصديقاتي يصطحبن أزواجهن أو اخوتهن، ولا يدخل علينا غريب .

عـلاء : أريد أن أنام .

سميحة : يستحيل أن أنام قبل أن توافق على حضورك معي حفلة مطيعة خانم .

عـلاء : ولكن لماذا تريدين أن تأخذيني معك ؟

سميحة : لأخرجك من عزلتك .. ولانني أريد أن ترفـه عـن نفسك المكدودة .. جرب مرة واحدة .. بحياتي عليك .. واذا لم تعجبك سأمتنع عنها .

عـلاء : معنى هذا اذا لم تعجبني .. امتنعت عنهـا نهائيا .

سميحة : أقسم لك على هذا بحياة أولادنا .

عـلاء : موافق .

سميحة (تطوقه بذراعيها ، وتقبله) : ما أنبلك يا علاء ، انك خير وزج في العالم .

ـ المشهد الثاني ـ

(عيادة الدكتور علاء . الساعة الثانية بعد الظهر . يدخل المرض ، وينحني أمام الطبيب)

الممرض : سيدي . الساعة الثانية . ولم يبق أي زبون . ألا تتفضل حضرتك بالانصراف لأغلق العيادة؟

عـلاء : اذهب الآن بسرعة . وسأظل قليلا في العيادة للقيام ببحث .

الممرض : انني أنتظرك حتى تنتهي منه يا سيدي .

عـلاء : اذهب الى بيتك .. ودعني وشأني .

(ينحني الممرض ، وينصرف)

علاء (لنفسه) بعد ربع ساعة تكون هنا .. ان قلبي يخفق بشدة . (يتناول الهاتف ويتحدث : من هنا ؟. أم رفيق

قولي للست أنني لن أستطيع الحضور الى الغداء لانني مدعو عند صديق لي .. (يلقي بالهاتف ويتمشى في الحجرة) ان قلبي لا يزال يخفق بشدة.. ما هذا الضعف الذي انتابني ؟ ان فريدة تسللت الى قلبي .. انني أحبها ، ولا طاقة لي بالبعاد عنها .. أحلم بها ليل نهار . ما نهاية هذا الحب (يترامى اليه رنين جرس الباب ، فيسرع ، وقلبه في وجيف جبار) انها جاءت . (ويفتح الباب وتهل فريدة في الثامنة عشرة من عمرها ، سمراء فاتنة ، طاغية الجاذبية ، فيها سحر لا يقاوم .. ويمد يده لمصافحتها ، وقد احتقن وجهه بالحمرة) .

علاء : أهلا وسهلا .. تفضلي . كم أنا سعيد .

فريدة (محمرة الوجه) : ها أنا جئت في الميعاد .

(يقودها علاء الى حجرة المكتب، وتتهالك على كرسي، وجلس بقربها ، وتناول يدها ، وربتها بلطف ، وطبع عليها قبلة لاهبة) .

فريدة (تحاول أن تنزع يدها منه) : اتركني يا علاء .

علاء : وهل يستطيع الانسان أن يترك روحه اذا رآها تحاول التسلل من جسده ؟ دعيني أستمتع بهذه النشوة الحالمة .. انني أسعد انسان في العالم .

فريدة : ولكن ما النهاية لهذا الحب ؟

علاء : النهاية التي تريدينها . أنا طوع أمرك .

فريدة : رأيي أن نفترق بسلام .

علاء : وهل هذا معقول يا حبيبتي ؟

فريدة : ان ضميري يؤنبني بقسوة .

علاء : اقتلي هذا الضمير . قولي له : ان الحب شيء مقدس . انه رسالة السماء الى الارض لينقي النفوس من كل درن .

فريدة : فيلسوف .

علاء : عيناك الساحرتان علمتاني الفلسفة والحياة .

فريدة : والآن . لماذا دعوتني الى العيادة ؟

علاء : ألم يدلك قلبك ؟

فريدة : لم يدلني على شيء .

علاء : فريدة .. يجب أن تتزوج .

فريدة : هل أنت مجنون ؟

علاء : مجنون بحبك . أعبدك .. لا أستطيع أن أتحرر من حبك . انك حياتي .

فريدة : أنسيت أنك متزوج وعندك أولاد ؟

علاء : ان الله شرع الطلاق ..

فريدة (مقاطعة) ولكن سميحة صديقتي . فكيف أخطف زوجها منها ؟

علاء : ألا تحبينني ؟ ألا تكنين لي نفس العاطفة التي أكنها لك ؟

فريدة : أنت تعرف أنني أحبك أكثر مما تحبني .. ولكن ..

علاء : غير معقول .. لان حبي لك فاق كل حب عرفه البشر .. ومنذ اللحظة الاولى التي وقع نظري عليك في حفلة ملكة الاناقة.. أحسست بأني ولدت من جديد .. لقد خفق قلبي لمحياك النضير .. وتأكد لي أنك الانسانة التي أرسلها الله لتملأ وجودي .

فريدة : الى هذا الحد !.

علاء : وأكثر .. انه الحب الصاعق .. من أول نظرة .. ذلك الحب الذي يفيض ، ويفيض حتى ..

فريدة (مقاطعة) : قلت لك انني خائفة .

علاء : وأنا خائف أكثر منك .

فريدة : اذن . لنفترق بسلام .

علاء : خوفي يرجع الى هذا الفراق .. لن توجد قوة تفرق بيننا .

فريدة : كتب الشقاء لحبنا .. لانك متزوج .

علاء : لا تعودي الى هذه النغمة .. أنا لو كان لي الف زوجة لضحيت بهن لأفوز بك .

فريدة (تمسح بيدها شعر رأسه) ما أتعسنا يا علاء .

علاء : بالعكس . اننا في ذروة السعادة .

فريدة : والفضيحة ؟

علاء : وما يهمنا من أقاويل الناس ما دمنا نرتع في حبنا ؟

فريدة : أرجوك يا علاء أن تعود الى زوجك .. سأتعذب ، ولكن يجب أن أضحي .

علاء : (حالما) لا أزال أذكر تلك الحفلة التي ألحت علي زوجي لاحضرها ، وهناك جلست كئيبا أرامق الراقصين والراقصات مشمئزا •• وفجأة خفق قلبي عندما رأيتك تمشين صوبي في ايقاع متناسق أخاذ • وجلست بقربي لتبددي وحشتي •• وتحدثت ، فانحدرت نبرات صوتك الفاتن الى قلبي ، وأحسست أنني ولدت من جديد ••• وحطمت قناع الجمود ، وعندما راقصتك خيل الي أنني أسبح في الفضاء ، وأمتطي الاثير ، لقد حطمت كل الحواجز التي اصطنعها تزمتي •• وفي الصباح التالي طلبت الى سميحة أن تقيم حفلة في بيتنا •• وكنت على رأس المدعوات ، وفي تلك الليلة تأكد لي أنك حياتي •• وتكررت حفلاتنا ، وامرأتي سعيدة ، ولكنها لو علمت السبب لاصابها الجنون •• المهم يا فريدة •• يجب أن نتزوج ، وبسرعة فائقة •

فريدة : كم كنت أتمنى لو لم تكن متزوجا •

علاء : زواجي ينتهي بكلمتين •

فريدة : تضحي بزوجك وأطفالك لاجلي •

علاء : وبحياتي أيضا •

فريدة : ولكن ••

علاء (يطوقها بذراعيه ، ويغرز أنامله بشعرها الاسود المسترسل على كتفيها) دعيني في هذه النشوة الحالمة •• أرجوك •• لا تتكلمي •• خمس دقائق لاطير بها الى الجنة •

(ويفتح باب المكتب فجأة •• وتطل سميحة شاحبة الوجه جاحظة العينين ، وتدنو منهما ، وهما ذاهلان في نشوة عاتية)

سميحة : ضبطتكما في الجرم المشهود •• يا ••

(فريدة وعلاء يصيبهما الذهول •• وسميحة تنتزع فريدة من بين ذراعي علاء ، وتهزها بعنف ، وتبصق في وجهها ، وتشدها بقوة حتى تطرحها على الارض ،وتدوس عليها بقدميها •• وعلاء يدفعها عنها بقوة ، فتكاد تسقط لولا أن ترتطم بالحائط)

سميحة : خائن ، كلب ، مجرم ، وأنت يا فاسقة ••

علاء (مقاطعا) اياك أن تتلفظي بكلمة أخرى • •انني مستعد أن أكون مجرما ••

سميحة : فريدة صديقتي تخونني مع زوجي !••

(تتقدم صوب الهاتف • وينتزعه زوجها منها)

سميحة (تصرخ) : دعني • سأطلب والدها ليراها في أحضانك •

فريدة (خائفة) أرجوك ياسميحة خانم ••

سميحة : لا تدنسي اسمي بشفتيك •• يامنحطة •• ياسافلة • ياأحقر الفتيات• ياسارقة الازواج•

علاء : اسكتي •• والا ••

سميحة : سأطلب الشرطة •• (وتزعق)

علاء : اسكتي •

سميحة : لن أسكت أبدا • انكما مزقتما كرامتي ، وسأنتقم منكما •

علاء : يجب أن نتفاهم في هدوء •

سميحة : وأي تفاهم ؟ أتحسب أنني غافلة عنكما ؟ الشائعات عن حبكما الاثيم ملأت البلد • كنت أرفض أن أصدق لانني كنت واثقة من زوجي النبيل الذي لا يعرف سوى عمله وبيته •• غير أنني اليوم أحسست بهاتف خفي يدفعني الى اقتحام عيادتك عندما اعتذرت عن الحضور الى الغداء •• وتناولت المفتاح الثاني الذي كان موجودا في البيت ، وصدق حدسي ••

علاء : لا فائدة من هذه الثورة •• ما قدر كائن •

سميحة : وأنت يافريدة •• أيتها العذراء الطاهرة •• كيف تفرطين في شرفك ؟

فريدة : أنا أشرف منك •

سميحة (مقهقهة) والبرهان •• وجودك في أحضان زوجي •

علاء : وماذا يعنيك ؟ •

سميحة : غريب أمرك • انني أدافع عن بيتي وأولادي•

فريدة : وأنا كنت أدافع عنك •• سلي علاء •

سميحة : يامنحطة •• و

علاء (يضع يده على فم زوجه) أرجوك ياسميحة أن

تصغي الي قليلا ٠

سميحة : أتريد أن تبرر جريمتك ؟

عـلاء : الحب ليس جريمة ٠

سميحة : وتزعم أنك تحبها ؟ ٠٠

عـلاء : بل أعبدها ٠ وقلامة ظفرها في الدنيا ٠

سميحة : أيها المفتون ٠٠

فريدة : ياسميحة خانم ٠٠ أنا مخطئة ٠٠ولن أعترض حياتكما مرة أخرى ٠ وأتوسل اليك أن تستري علي ٠ انني غرة جاهلة لا أقدر عواقب الامور ٠ أنا خارجة ٠ وليوفقكما الله ٠٠

عـلاء : لن تخرجي قبل أن نضع نهاية لهذه القصة٠

سميحة : وأية نهاية ؟

عـلاء : المسألة لا تحتاج الى أخذ ورد ٠ باختصار أنا أحب فريدة وهي تحبني ٠ وسنتزوج ٠

سميحة : وأنا ؟ ٠ يامجنون ٠ وأولادك ؟ ٠

عـلاء : لا تجعلي من هذه القصة البسيطة مأساة ٠

سميحة : وهل هنالك مأساة أشد من تحطيم بيتك في سبيل نزوة مجرمة ؟

عـلاء : لقد حاولت أن أحارب هذه النزوة ، ولكنها كانت أقوى مني ٠٠ لانها حياتي ٠٠ ان الحب لا يعرف القوانين ، ولا يخضع لارادة انسان ٠٠ أنه أقوى منا جميعا ، فلنخضع له في هدوء ٠

فريدة : أرجوك أن تعود الى زوجك وأولادك ٠

عـلاء : لست يافريدة أول ولا آخر من طلق زوجه ليتزوج أخرى ٠

سميحة : يامجرم ٠٠ أتطلقني لاجل هذه الحقيرة ؟ ٠

عـلاء : انها أسمى انسانة في العالم ٠

سميحة : انني أحتقركما٠٠وألعن الساعة التي تزوجتك فيها ٠

عـلاء : لماذا تغضبين ياسميحة ؟ ألست السبب في هذا ؟ ٠ ألم تقوديني الى عالمك الخاص ؟ لا تنسي اننا في عصر الملكات ، وفريدة مليكتي تتصرف بي كما تشاء ٠

سميحة (تشذرهما بقسوة وتنسحب بعصبية) ليكن ٠٠ انني أكرهك ، وسأخذ أولادي ، ولن أدعك تراهم ٠

عـلاء : لا تنسي أن هنالك قوانين ٠٠

سميحة : القانون ٠٠ انني أهزأ به ٠ طلقني لارتاح منك ٠

عـلاء (في هدوء) أنت طالق بالثلاث ٠

سميحة : الحمد لله ٠٠ الذي أنقذني منك ٠٠

عـلاء : وأتمنى لك حياة سعيدة ٠٠ وحظا جديدا أحسن مني ٠

فريدة (باكية) أنا مجرمة٠٠خربت بيتا ٠ الله ينتقم مني٠

عـلاء (يكفكف دموعها) انك لم تخربي بيتا ، بل أحييت انسانا ٠

فريدة : انني أتمنى الموت ٠

سميحة : الله ينتقم منك ، ولا يدعك تتهنئين بهذا الزواج ٠

(وتتجه سميحة صوب الباب في عصبية وتصفقه بشدة) ٠

عـلاء : الآن نستطيع أن نتزوج ٠

فريدة : علاء ٠٠ انني خائفة ٠

عـلاء : عندما تتحقق سعادتنا تخافين٠٠ ما هذا الكلام الفارغ ؟

فريدة : أحس أن الله سينتقم مني ٠

عـلاء : ولماذا ينتقم منك ؟ انك لم تفعلي شيئا يغضبه٠

فريدة : كل هذا لا يغضبه ٠٠

عـلاء : ارادة الله أن نحب بعضنا بعضا ، ولاراد لمشيئته ٠

فريدة : علاء ٠٠ انني آثمة ٠٠

عـلاء : الحب يطهر كل مأثمة ٠٠

فريدة : انني ذاهبة ٠٠

عـلاء : سنذهب معا ٠٠ الى والدك لنعالنه برغبتنا في الزواج ٠ هل عندك مانع ؟

فريدة : لتكن ارادة الله ٠

(ويخرجان معا)

ـ ستار ـ

محمد حاج حسين

الجرح المتجاوب

شعر : صالح الخرفي

شبح لاح لي « بغزة » و « الضفة » للافق تشرئب يداه
يا الهي • متى أعود ؟ متى الفجر ؟ وليلي على الاسى مامداه
رجع الافق صوته ثم احنى يسأل الارض : هل سمعت نداه ؟
فتعال من الجزائر صوت : أمل العائدين نحن فداه
من عباب المحيط في المغرب الاقصى ترامى الى الخليج صداه
مهبط الوحي من حثالة صهيون ورجس اليهود نحن فداه
ياأخي في خيام (غزة) في قمة (شليا) جروحنا تتنادى :
نحن قربان مدلج ينشد الفجر فكنا لـه منارا وزادا
رعشة النور في سراجك يانضو • أضاءت له الربا والوهادا
ومن الاهة الحزينة وافتة من العز نغمة تتهادى
اننا نزرع الورود على الدرب ونجني من الورود القتادا
مرحبا بالقتاد يدمي خطانا • ان يكن في ظلاله الحر سادا
ان اشلاءنا معالم حمراء بقفر طغ عليه السراب
وخطانا من خلفها الأثر الدامي، كما ضرج السماء شهاب
ودموع الشريد أنجمنا الزهر • اذا كفن السماء سحاب
كالسوافي آهاته • فتلبد في سماواتنا العلى ياضباب
للمعالي جناحنا فاذا ضاقت عليه لـه السهول الرحاب
هيبة النسر ليس يعدمها النسر فضاء مداره أم تراب
ياأخي • لست بالشريد المعنى • فحنايا ضلوعنا لك مأوى
أنت انشودة الصباح اذا افتر وفي غفوة الدجى أنت نجوى
عبرة أنت للحنان وللعطف استطابت انسان عيني مثوى
قطرة أنت من دمي قدسي ، كم شفى غلة الشهيد وأروى
وثبة أنت للكفاح اذا شدت بعزمي على الفدا • فهي بلوى
ياقويا بنا • وبالقلب في جنبك يهفو لثأره • أنت أقوى
لست بابن السليب ياابن بلادي • أنت عملاق موطن مسترد
قد خلقنا • أنا بقمة (شليا) مستنيرا بفوهة ذات وقد
وبخط الهجوم أنت • خلقنا ياأخا الثار من هنا للتحدي
فاترك السلم للوجود • وللنار خطانا فسلمنا رفع بند
ياأخي نحن يوم سحق الفرنسي وسحق اليهود لطمة خد
يافلسطين ان رأيت قتاما • فاعرفي انني وفيت بوعدي
لاتسلني عن مسقط الرأس • سلني أين مرمى عصاي ؟ غاية طرفي
يتمطى بي المسير وتغريني الفيافي • والريح تعوي وتسفي
قبلتي كعبة ستائرها العذراء ديست وجرعت أي خسف
غاية الطرف كل أفق تراءت فيه رايات زاحف للتشفي
مسقط الرأس أين تهوى رؤوس الغدر والروح رفرفت فوق كفي
يومها • قد بزغت للكون ياروحي • فزفي لي السعادة • زفي
مد لي كفك الجريحة ياصاح • ودعها تضم كفا جريحة
لك في وحشة الدروب أنيس مسه الضيم فامتطى الثأر روحه
لوحت لي من تحت أخمص أفاق قباب (البيضاء)[1] تشكو طريحة
جسد ان حرمته ياالهي • من ثراه فخط فيها ضريحه
وبأفياء كرمة عسجدتها ومضات الغروب ضمد جروحه
قبره في بلاده روضة الخلد اذا شئت ـ خالقي ـ ان تريحه
لـك أم ولي على البعد أم • لم يزل قلبهـا يحن اليا
أين لي نظرة لهـا وقـد اعتدت رؤاهـا ترف في مقلتيا
الصقوا اليتم بابنها وهي نبض لم يزل ـ يفتدى الامومة ـ حيا
في خيـام الفلاة ضمكما السعد فجاورت عطفها القدسيا
وارتمى بي النوى هنا • لست أدري وبما كان بعدنا أبديا
غير اني وجدت للوطن الاكبر أمـا أعز منهـا عليا
اخوتي تستشف عيني • وراء الغيم ومضا ماكنهه ؟ لست أدري
عله بسمة الشهيد اذا لاح له الخلد في حشاشة صدر
عله خفقة لطلقة رشاش مناها أن تستقر بنحر
عله والحياة ليل غرابي الخوافي تحن شوقا لفجر
شمس حرية غدا سوف تكسو حومة الملتقى سبائك تبر
مقلتي • ان حرمتها فتأسى فهي دفئي اذا توسدت قبري
دفء شعبي في الدرب طال به السير فزودته بقية عمري

(١) البيضاء : الجزائر

٢٤-٢-١٩٦٠

الشاعر الجزائري صالح الخرفي

ايجابية ألبير كامو في الطاعون

بقلم : ليلى صايا سالم

من المعروف عن كامو انه فيلسوف العبث والموت واللامعقول • فهو ينطلق من حدس خاص في الوجود او نظرة خاصة اليه هي العبث ، يثير منها المشاكل ويطرح منها أيضا الحلول المناسبة •

وقد أعطى هذا كامو مكانة كبيرة لما يتمتع به مفهوم العبث من أهمية نظرا للعدم الذي يتضمنه • وللحلول اليائسة التي يعطيها لاسئلة الفكر الانساني ، مثل السؤال عن المعنى الذي تتجه اليه كل الاحداث ؟ والسؤال عن الانسجام الذي يفضي اليه التناقض الملاحظ في الكون ؟ والسؤال عن اكمال الاخير هل هو الوجود أو العدم ؟ •

وقد وقف كثيرون ممن قرأوا كامو أو سمعوا عنه عند هذا الحدس للعبث حتى أصبح كامو في نظرهم مقرونا دائما بالعبث والموت واللامعقول • والحقيقة أن لفلسفة كامو جانبا انسانيا ايجابيا يحرص فيه على البحث عن سعادة الانسان ، ويلح على قيمته وجدارته بكل شيء ، ويدعو الى ضرورة العمل والتضامن في الحياة• هذا الجانب الايجابي أول ما ظهر بشكل واضح في كتابة الطاعون : تدور رواية الطاعون حول مدينة وهران • مدينة هادئة مطمئنة يعيش سكانها من أعمالهم التجارية، طبيعة الحياة فيها جافة حقا غير انها سهلة وادعة • لم يفكر أهلها يوما ببلية تصيبهم أو وباء يهدد أمنهم ، فقد كانت اللحظات القلقة جد قليلة ، وهي ان أتت لا تلبث أن تذهب بسرعة ، فليس قلقهم حين يحصل من النوع الذي يشكك أو يزعزع • وحدث في المدينة أمر غريب ، هو موت الجرذان فيها ، وقد أثار هذا دهشة الجميع وظنوا أن الامر لا يعدو أن يكون طارئا موقتا ، كسائر الاحداث التي تقع في مدينتهم ، غير أن الحادث لم يتقهقر أو يثبت على الاقل فيعتاد عليه ، بل كان موت الجرذ يزداد باطراد حتى أصبح الامر مقلقا جدا • وفي الوقت نفسه أصيب بعض الافراد بحمى شديدة انتهت بموتهم بعد عدة أيام • ويدرك الاطباء حقيقة الحادث ويعلمون أنه وباء الطاعون • وأعلن الوباء رسميا • وأغلقت المدينة وقطعت علاقاتها مع المدن الاخرى • ومازج شعور أهلها بالذعر شعورا أقسى وأمضى هو الشعور بالنفي والعزلة والوحدة أمام وجود موبوء رهيب ، أقل ما فيه الموت والعذاب والألم •

ويقف الافراد موقفا متباينا من هذا المصير • فيحاول البعض الهرب وتخطي الحواجز المانعة فيردهم الحرس على أبواب المدينة خائبين ، ولا يملكون عندئذ الا الارتماء في الايام الرتيبة المفزعة منتظرين آملين أول الامر ثم يائسين بعد ذلك ، لم تعد لهم غير ذكريات عقيمة مع حبيب أو صديق أو قريب ، ولا تلبث الذكريات أن تبهت هي الاخرى من كثرة التصور والاجترار ويصبح هؤلاء من غير شيء على الاطلاق •

ويكافح البعض الآخر ضد الوباء كالدكتور ريو ، وتارو ، وهذا الاخير غريب عن البلدة غير انه كان قد أخذ على نفسه مساعدة كل متألم ومعذب• وزمبير الصحفي الغريب أيضا ، الذي سعى للهرب أول الامر ثم لم يلبث منظر العذاب والموت ان يبقيه لمساعدة أهل المدينة • وغير هؤلاء كثيرون تطوعوا وألفوا فرقا صحية كانت تداوي المصابين وتعمل على عزلهم • ويبرع كامو في تصوير آلام المرض وموت الاهل ، كما يبرع أيضا في تصوير الجهود التي يبذلها المتطوعون والاطباء – خاصة ريو – وكيف أن هذه الجهود لم تكن لتعود عليهم في أول الامر الا بالتعب والارهاق ، ولم تكن تستطيع أن تحد من تزايد عدد الموتى كل يوم •

وحين يتقهقر الوباء ويقف ، تفتح الابواب وتعود الحياة الى المدينة وتخرج من نفيها كما كانت من قبل ، يعود ريو يمشي في الشارع وقد فقد زوجته وصديقه تارو •

هذا هو ملخص احداث الرواية بغض النظر عن المشاكل التي تثيرها والفلسفة التي تنطوي عليها• ونحن لا نستطيع أن نبين معنى الايجابية فيها الا اذا تعرضنا لمفهوم العبث وحللناه ، ذلك لانه نقطة الانطلاق للايجاب•

لقد تميز كثير من الفلسفات الحديثة بمفهوم العبث، الا أن هذا لا يعني انه واحد عند الجميع فهو عند نيتشه غيره عند جيد ، أو هيدغر ، أو سارتر ، • على أن هناك تقاربا في المفهوم بين هيدغر وسارتر وكامو نحاول منه الوصول الى توضيح معنى العبث عند كامو •

« كان باسكال يقول : ليس من سبب معقول لان أكون هنا بدلا من أن أكون هناك » •

« ولماذا نكون شيئا ما بدلا من أن نكون لا شيء ؟ » يشير الى الشعور بعدم لزوم الحياة وضرورتها وعدم

وجود ما يبرر وجودها تبريرا معقولا • واذا كان باسكال قد تجاوز هذا الشعور الا انه اتخذ أساسا لفلاسفة أتوا بعده •

فهيدغر يطلق على هذا الوجود غير الضروري وبالتالي غير المبرر : « فكل شيء قد تم قبل أن آتي ، فأنا منخرط من غير أن أدري في حبكة لم أردها ، وليس بأمكاني أن أسيطر عليها • شأني في ذلك شأن حصاة لفظها الموج فجأة الى الرمل »(١) •

« وهكذا فنحن مقذوفون في الوجود من غير أن نفقه لماذا ، ومن غير أن ندرك سببا معقولا لهذا القذف • فوجودنا اعتباط • وطالما أن العالم قد جاء قبلنا ، فهذا العالم يتكون خفية عنا لذا لا ننجح في ادراكه ، وهو يولد في نفسنا شعور الوحدة والوحشة وعدم الانسجام » •

ويقول سارتر في الوجود والعدم : « ان كل موجود يولد من غير سبب ويعيش بدافع من ضعف ويموت بالمصادفة » • وهو في قصته الغثيان يبين كيف أن وجود الاشياء يفقد اسمه ولونه ، وان هذا الوجود الذي لا اسم له ولا معنى يوحي له بالغثيان •

واننا لنجد عند هؤلاء جميعا ان اللامعقولية هي التي تكون مفهوم العبث ونحن نجد عند كامو شبيها بهذه المعاني •

لقد بحث كامو مفهوم العبث في اسطورة سيزيف خاصة وطبقه قبل ذلك في قصة الغريب ، كما اننا نجده في كل آثاره الاخرى • وبينما هو لا يتجاوزه في آثاره الاولى ، نراه يخطو خطوة أخرى في كتابيه الطاعون والانسان المتمرد • وسنقتصر على كتاب الطاعون في ايضاح معنى العبث ، وفي كيفية تجاوزه بشكل ايجابي •

فاذا تساءلنا عن تجربة العبث وعن العناصر التي يمكن أن ترد اليها لايضاحها وجدنا أن هناك عدة عناصر تحمل الانسان على وعي العبث وهي : رؤية الآلي في الحياة • وغرابة العالم ولا معقوليته • ورؤية الموت كمصير حتمي لكل شيء •

ويصف كامو آلية الحياة وكيف أننا نعيش الحياة بسهولة وراحة لانها أصبحت عندنا عادة الحياة ولذا فنحن في انسجام تام معها ، نؤمن بمعقوليتها ، والانسان دائما يرتاح لعاداته وأعماله الآلية • يصف يوما في اسطورة سيزيف : « نهوض ، ترام ، أربع ساعات في المكتب ، غداء ، ترام ، أربع ساعات عمل ، عشاء ، نوم • الاثنين ، الثلاثاء ، الاربعاء ، الخميس ، الجمعة ، السبت ، على النمط نفسه » •

ويقول في الطاعون يصف المدينة وهو يريد أن يصور العالم كله بكل جموده وآليته :

« مدينة بغير حمام ولا أشجار ، ولا حدائق ، حيث لا خفقات أجنحة ، ولا حفيف أوراق ، ان السماء وحدها هي التي تنبىء بتغير الفصول ، ولا ينبىء بالربيع هناك الا سلال الزهور التي يحملها الباعة الصغار من الضواحي ، انه ربيع يباع في الاسواق » •

« هي مدينة لاوساوس لها • حتى الحب فيها ، عادة يدفع اليها ضيق الوقت والتفكير »

« مواطنونا يعملون كثيرا وانما من أجل الاثراء دائما • وهم يهتمون خاصة بالتجارة ، ويوجهون عنايتهم قبل كل شيء الى تدبير الاشغال ، ولكنهم بكل تعقل يحتفظون بلذائذهم الى مساء السبت والاحد • وهم حين يغادرون مكاتبهم مساء يجتمعون في المقاهي في ساعات معينة أو يتنزهون على الجادة عينها ، أو يجلسون على شرفاتهم » •

وبالرغم مما في حياة المدينة ومظاهرها من تفاهة الا أن المرء ما أن يكتسب عاداته حتى يقضي أيامه من غير صعوبة « فهذه المدينة الخالية من أي مظهر متميز ، ومن كل نبات وروح توحي آخر الامر بأنها مريحة فيستنيم اليها الناس » • ويختم وصفه لها ببيان موقعها مشيرا الى تفاهة هذا الموقع في الوقت الذي يكون فيه البحر الواسع على مقربة منها : « انها ملتقحة وسط نجد قاحل تكتنفه التلال المشرقة أمام خليج مكتمل الخطوط ، على ان بالامكان أن يأسف المرء أنها بنيت وهي تولي هذا الخليج ظهرها ، فتعذرت من جراء ذلك رؤية البحر الذي لا بد لادراكه من الذهاب اليه •

هذا هو النمط الخارجي للحياة في المدينة ، ويقابل هذا النمط آلية الحركات والاقوال حتى والمشاعر فكأن في الانسان عنصرا لا انسانيا غريبا يجعله بعيدا عن طبيعته ولكنه في الوقت نفسه يسهل عليه الحياة •

وحين يكتشف الانسان هذه الآلية للحياة والعالم يشعر أن العالم غدا غريبا ينكره لانه فقد المعنى الذي كانت تلبسه اياه العادة • وعندئذ يعجز عن أن يفهمه ويحل محل الانسجام مع العالم عداوة وكثافة وغرابة ، وعجز عن الادراك أو اللامعقولية » •

وهكذا يقودنا العنصر الاول الى العنصر الثاني في تجربة العبث أي غرابة العالم ولا معقوليته • ويصور لنا كامو البدء باحساس الغرابة واللامعقول بحادث بسيط جدا هو موت جرذ : « هذه المدينة السهلة المكتفية الراضية قد استيقظت صباح يوم على جرذ ميت • وأثار هذا الحادث غير المألوف والجديد ، غرابة الطبيب ريو فعاد ليخبر البواب ، وأبى هذا الاخير أن يصدق فقد كان رأيه حاسما في فقدان الجرذ من البيت • وعبثا حاول الطبيب التأكد له ، فقد ظل اقتناع البواب لا يتزعزع واعتقد

(١) رند حبشي : ثلاثة رجل أمام العبث •

ان الامر مجرد مزح أو دعابة » ٠

وهكذا يبدأ الاحساس بالغرابة عند ريو ، وعدم التصديق عند البواب لان في الامر خروجا عن مألوف الايام السابقة ٠ وحين يقول ريو لتارو عن الجرذ : «انه بدأ يزعجنا » ، يجيبه تارو : « من ناحية يادكتور من من ناحية واحدة فقط ٠ ان كل ما في الامر اننا لم نشهد شيئا مماثلا » ٠

ومنذ اللحظة التي يموت فيها المواطنون يبدأ الخوف والتفكير معه ٠ والمدينة بأسرها تقلق وتخاف من جراء شعورها بان حياتها التي اعتادتها باتت مهددة ، فقد اكتشفت أن ثمة أشياء جديدة ، جعلتها تفقد انسجامها مع عالمها الصغير ، أشياء لم تستطع أن تفهمها أو تجد ما يبررها فهي أشياء لا معقولة ٠ وهكذا يبدو العالم غير معقول حالما نراه على حقيقته يقول : « السخف يلح دائما وهذا شيء يسير ملاحظته ٠ وان مواطنينا لم يكونوا يؤمنون بالبلايات ان البلية غير حقيقية ٠ وآنى لهم أن يفكروا بالطاعون الذي يلغي المستقبل والتنقلات والمناقشات » وحين يحاول العقل أن يستحوذ ادراكا واضحا ، يجد أن صور موت الطاعون وآلامه لا تتلاءم مع هذه المدينة التي كانت الحياة فيها ناشطة سعيدة بالاجمال ٠ وعبثا يحاول العقل البحث عن مبرر لوجود الوباء فيصاب بدوار ويصطدم بهذه العبارة التي يصيح بها الوباء : « يصبح النبض ضعيفا جدا ويحدث الموت لدى أية حركة تافهة » ٠

وحتى الطبيب نفسه وهو أكثر من يدرك الوباء ادراكا علميا كان عاجزا عن الاعتقاد أن الطاعون يمكنه أن ينتشر حقا في مدينة يوجد فيها موظفون متواصفون لهم نزعات شريفة وينتهي به الحكم الى أن الطاعون ليس له ـ عمليا ـ أي مستقبل في هذه المدينة ٠

وهكذا يخفق العقل في فهم لا معقولية الطاعون وايجاد ما يبرره ٠ والطاعون هنا رمز للعالم اللامعقول بما فيه من ألم وعذاب وموت سريع في النهاية ٠

هذا العالم اللامعقول غريب عنا لذا نشعر فيه بالوحدة والعزلة والنفي : « وحين أغلقت أبواب المدينة أدرك الناس جميعا أنهم أخذوا في كيس واحد ينبغي أن يتدبروا أمره وهكذا أصبح على حين غرة شعور فردي كشعور الانفصال عن كائن حبيب ، شعور شعب بكامله بأنه منفي » ٠ وقطعت كل علاقة مع الخارج وحرم الجميع من كل لقاء أو اتصال ٠ وحتى لذة الكتابة البسيطة قد حرمت خوفا من أن تصبح الرسائل وسائل لنقل العدوى ٠ ولم يسمح الا بالبرقيات ٠ والبرقية كلمات مقتضبة تشعره العاطفة اذ تجمدها في قوالب ضيقة فتسلبها اللون والحرارة فتصبح هي الاخرى باردة باهتة مقتضبة كمثل القوالب اللفظية ٠

ولا يملك الانسان في وحدته ونفيه الا أن يكون مكررا أيامه ، يجترها من غير حرية أو ابداع كما كان سكان وهران يطوفون كل يوم في مدينتهم المحاصرة الكئيبة ويسلكون كل يوم الطرق نفسها ٠

وهذا الشعور بالنفي في العالم يعكس العلاقة الزمنية التي تنتظم حياة الانسان ٠ ان الوضع الطبيعي للزمن الانساني أن يبدأ كل منا من حاضره وينطلق الى مستقبله على شكل تطلع أو شروع ٠ أما الماضي فليس للرجوع اليه من كبير قيمة ذلك لان بامكان الحاضر والمستقبل ان يلغياه أو يعصياه معنى جديرا ٠ غير اننا هنا نجد أن كل فرد نافذ الصبر من حاضره ، محروم من المستقبل ، « لانه ليس ما يمنع الوباء آخر الامر من أن يدوم » ٠ ولذا فهو سجين الماضي متروك فيه لذكريات عقيمة ولصور ميتة ، « فهو أشبه بأولئك الذين كانت العدالة أو البغضاء البشريان يجعلانهم يعيشون خلف القضبان الحديدية » ٠

وفي هذا الوسط المحموم يشعر الانسان بالموت ، وبهذه العدمية التي تتوج كل شيء والتي تبصرنا بمصير ميؤوس منه يضع حدا لكل شيء بصورة مضحكة تافهة ٠ وان هذا التفكير بالموت وهذا الوعي له كمصير وحيد للحياة يزيد من تجربة العبث ويفاقم الشعور به ووعيه ٠ يقول الطبيب ريو : « حين دخلت هذه المهنة ـ يقصد مهنة الطب ـ فعلت ذلك بطريقة مجردة على نحو ما ، لانني كنت بحاجة اليها ، فقد كانت مهنة كسائر المهن التي يفكر بها الشباب ٠ ثم اني رأيت الناس يموتون ٠ أتعلم أن هناك أناسا يرفضون أن يموتوا ؟ هل سمعت في حياتك امرأة تصيح « أبدا » « لا أريد » في ساعة موتها ؟ أما أنا فقد سمعت وأدركت انني اذ ذاك لا أستطيع أن أتعوده ٠ كنت حينذاك شابا وكان اشمئزازي يتوجه الى نظام العالم نفسه ٠ ان نظام العالم مصفى بالموت ولذا فالحياة هزيمة لا تنتهي » ٠

ولعل أكبر فضيحة لهذا العالم عذاب أفراد نحن نؤمن أنهم أبرياء ٠٠ هؤلاء هم الاطفال ٠ ويبرع في وصف طفل يتعذب ثم يموت : « كانت يداه وقد أصبحتا كالمخالب تنكثان بهدوء جوانب السرير ثم تصعدان فتخدشان الغطاء بالقرب من الركبتين ٠ وفي وسط وجهه الجامد انشق الفم على التو وندت عنه صرخة موصولة يكاد التنفس لا يغير فيها النغم ، فملأت القاعة بغتة باحتجاج رتيب ناشز ، كأنه لفرط ضعف انسانيته صادر عن جميع الناس في وقت واحد ، كأنه صرخة جميع العهود ٠ وضعفت صرخة الصبي وانقطعت ، وانكمش فجأة وظلت

على وجهه آثار من دموع فقد انتهى » . وصاح ريو « لقد كان هذا بريئا على الاقل وكل واحد منا يعرف ذلك » .

ويمكننا أن نقول اننا حتى الآن لم نتجاوز تجربة العبث التي نشأت عن وعي اللامعقولية واللامعنى والموت . وهذه التجربة مؤلفة من متناقضين متقابلين هما الوعي الذي أدرك ، والعالم اللامعقول المتوج بالعذاب والموت . هذه التجربة هي الحقيقة الاولى ونقطة الانطلاق ولـذا ينبغي توكيدها دائما بالابقاء على الوعي واللامعقولية . وهذا التوكيد والابقاء هما اللذان يحملان كامو على رفض الخضوع واليأس والاستسلام . كما يرفض الانتحار الذي هو شكل سلبي من أشكال الخضوع بالرغم من أنه قد يبدو جوابا منطقيا وطبيعيا لرؤيتنا لا معنى الحياة . ولكن الانتحار لا يتفق والتجربة العبثية التي قلنا أنه ينبغي دعم طرفيها ، ذلك لان الانتحار يمحي أحد الطرفين وهو الوعي . يقول في اسطورة سيزيف : « كانت القضية من قبل ، هي معرفة ما اذا كان ينبغي للحياة أن تكون ذات معنى حتى تعاش . أما القضية هنا فتبدو على العكس ان الحياة تكون أفضل وأحسن بقدر ما تخلو من المعنى » . يقصد بعبارته الاخيرة انه ينبغي الوصول قبل كل شيء الى حقيقة أولى ووحيدة هي وعينا للامعنى الحياة .

هناك حل آخر غير الانتحار يلجأ اليه الانسان العبثي وهو المسلك الحسي في العالم ، « هذا المسلك القائم على حس اللحظة الحاضرة وتتابع لحظات مفعمة بالحماسات العميقة ولكن الموقتة والتي يمكن التحلل منها بسهولة للاستسلام الى لحظة جديدة » . وهذه نتيجة قد تبدو منطقية أيضا للوهلة الاولى بسبب انهيار الاهداف التي لم تعد مطلقة بل نسبية تجاه الموت . يقول « بعد العبث كل شيء يتزعزع ، هذا الاعتقاد بان لـكل شيء معنى يبدو مكذبا بطريقة مدوخة بسبب عبث موت ممكن » . « لذا فان العبث يبصرني بهذه النقطة : ليس هناك من غد وها هو بعد الآن سبب حريتي العميقة » .

ويسمي كامو هذه بأخلاق الكم أو أخلاق التجربة الحسية .

يقول في الطاعون يصف هذا الانغماس في اللحظة : « ان أول نسمة رطبة تجلب انفراجا فيهبط الجميع الى الشوارع وينهمكون في الحديث ويتنازعون ، أو يتحاسدون ، وعبثا يردد كل مساء في الشوارع شيخ يرتدي قبعة وعقدة رقبة ويخترق الجمهور : « الله كبير فعودوا اليه » فان الجميع كانوا يمضون بالعكس الى شيء يعرفون انه شر . وفي أول الامر اذ كانوا يعتقدون أن الطاعون مرض كسائر الامراض كان الدين في محله من الاحترام . واذ رأوا أن الامر خطير تذكروا الملذات والمتاع . فاذا القلق الـذي ينطبع طوال النهار على الوجوه ينحل اذ ذاك في الشفق الملتهب المغبر الى نوع من الاستثارة والهيـاج الشرس الى نـوع من الحرية الخرقـاء التي تحم شعبا برمته » .

ويقول في وصف تارو وهو نموذج عبثي : « كـان يميل الى حياة الحس ، وقد رئي كثيرا في مطلع الربيع على البلاجـات يسبح غالبا بلـذة ظاهرة . وكان يبدو وكأنه صديق جميع المتع الجديدة من غير أن يكون عبدا لها . وهو يعرف كل شيء في الحياة » وان مثال هذه الاخلاق هو دون جوان والممثل الهزلي .

واذا كان كامو قد وقف في آثاره الاولى عند هذا الحد الا انه تجاوزه في المرحلة الثانية في الطاعون والانسان المتمرد . ذلـك لان غايته بناء أخـلاق تحقق سـعادة الانسان .

ان المسلك الحسي ، الآني ، اللامبـالي ، لا يعطي الانسان قاعدة للعمل ، ذلك لان القاعدة قد تقتضي تقييد سلوك حاضر في سبيل لحظة آتية ، والقاعدة تتضمن قيمة معينة يكون تقويم العمل على أساسها . وقد رأينا أن العبث قضى على كل قيـمـة باعتبارها نسبية مضحكة ، فهو اذ ليس قاعدة للعمل وانـما نقطـة انطلاق ينبغي تجاوزها الى العمل الخلاق ، وهو لا يجد في اخلاق الحس هذا العمل الخلاق لانها لا تتضمن قيمة تخلق . ولا بد هنا من الاشارة الى أن كامو ليس وجوديا ، فالماهية أو القيمة في نظره تسبق الوجود ، وهو يؤكد بـان هناك طبيعة بشريـة خلافا للموضوعات الفلسفية المعاصرة . فهو يقول وفي هذا اشارة الى سارتر : « هذه القيمة التي تسبق وجود كل عمل تناقض الفلسفات التي تذهب الى أن القيمة تكتسب ـ اذا كانت تكتسب ـ بعد العمل » . وهكذا فالعمل الخلاق يعني به هنا « المحقق لقيمة ما ، والكاشف لها » . هـذا العمل هو التمرد الـذي يؤكد عبث العالم فيبقي الوعي مستيقظا ويبقى أمينا للتجربة العبثية ، وهو عمل ايجابي توجهه قيم عدة يعمل الانسان على تحقيقها وبذا يؤكد ذاته تجاه العالم . فما هي هذه القيم التي توجه الاخلاق والعمل ؟

ان أول قيمة ايجابية هي الاتصال بالآخرين ، وخدمة الآخرين . ان ابطاله في الطاعون يتجاوزون عزلة ابطاله في الغريب وسوء التفاهم فبينما نجد في سـوء التفاهم الاخت مارتا تقتل لتصل الى سعادتها الفردية ، نجد الدكتور ريو ، وتارو ، في الطاعون يخدمان جميع المرضى معرضين نفسيهما للموت والتعب . ان التمرد لا يكون خلاقا ايجابيا اذ اذا تجاوز الانسان نفسه بواسطة الآخرين . وهذه القيمة الجديدة ، قيمة خدمة الآخرين تنقل الانسان من حياة الاحاسيس الفردية الى حياة تتوزعها التضحيات في كثير من الاحيان .

يتحدث في الطاعون عن الفرق الصحية التي ألفها تارو والتي تطوع أفرادها لمكافحة الوباء وانقاذ المعذبين مصورا شعور الانسان بمسؤوليته المحتمة تجاه الجميع يقول : « ان الذين انقطعوا الى الخدمة في الفرق الصحية لم يكن لهم كبير فضل في أن يفعلوا ذلك ، لانهم كانوا يعرفون أن هذا هو الشيء الوحيد الذي يفعل • وانما كان يكون أمرا لا يصدق لو أنهم لم يفعلوه • وقد ساعدت هذه الفرق مواطنينا على أن يتغلغلوا في الطاعون وأقنعتهم بانهم يجب أن يفعلوا ما يفعلونه لمحاربة الوباء ، ما دام قائما بينهم • ولما أصبح الطاعون واجب الجماعة ، تبدى على حقيقته تماما فغدا قضية الجميع »•

وهكذا نرى أن التمرد على الطاعون ، بعبارة ثانية على العبث والموت واللامعقول ، واجب ضروري ، وهو قبل كل شيء عمل من أجل الآخرين : « ان كثيرين من الاخلاقيين في المدينة كانوا يقولون انه ينبغي أن نستسلم وان على الناس أن يخروا راكعين • وقد كان بوسع تارو وريو وأصدقائهما ان يجيبوا بهذا أو بذاك ، ولكن النتيجة كانت دائما ما يعرفونه : أن المقاومة واجبة على هذا الشكل أو ذاك وان الاستسلام غير وارد • لقد كانت القضية كلها أن يحال بين أكبر عدد ممكن من الناس ، وبين أن يموتوا ويعرفوا الفراق النهائي • ولم يكن الا ثمة وسيلة واحدة هي محاربة الطاعون • ولم تكن هذه الحقيقة شيئا رائعا ، وانما كانت أمرا محتويا » •

هذا الاتصال بالآخرين وخدمتهم مضمخ بعاطفة المحبة والمودة للآخرين ، ومصحوب باعتقاد هام جدا ، هو الاعتقاد بان الانسان جدير بكل شيء • فأما المحبة والمودة فتنتج من رؤية العذاب والموت ، هذه الرؤية التي تقذف الانسان الى أحضان الآخرين لمساعدتهم ، وتجعلهم ينطلقون من ذواتهم لملاقاة كل انسان وتحريره من الألم والعذاب والموت • ان الصيحة الفردية ، صيحة مارتا ، تختنق بين آلام المطعونين وأصواتهم المستنجدة • وعندئذ لا بد للانسان من أن يكون انسانيا ، ولا بد له من أن يعمل شيئا من أجلهم • أي أن يكون ايجابيا • ان انعزالية الانسان العبثي ، وحياده تجاه كل شيء ، ولا مبالاته ، تنقلب هنا عملا وسعيا لالتماس وضع أفضل ، أقل ما فيه انه أقل ألما وعذابا ، وأقل أمواتا أيضا •

ويصور لنا كامو هذا في شخصية رامبير ، هذا الصحفي الذي دهمه الوباء وهو في المدينة ، فاحتجزه الوباء وأبقاه بعيدا عمن يحب في باريس • وقد قاوم في البدء كثيرا ، وحاول الخروج ، لانه ما من شيء يربطه بهذه المدينة فهو غريب عنها لا يعرف أهلها ، ولا تهمه مشاكلهم • ان بقاءه معهم يفصله عن زوجته ويهدد سعادته الفردية • وقد اختار رامبير سعادته الفردية أول الامر ، وأنكر وجود الآخرين والتمس الهرب من المدينة ولذا نراه يقول : « أنا أعلم أن الانسان جدير بالاعمال العظيمة ولكنه ان لم يكن جديرا بعاطفة كبيرة فهو لا يهمني » • ويقول لصديقه الذي أوقف حياته لخدمة المطعونين في منظمة صحية : « انك جدير بالموت من أجل فكرة • هذا ظاهر للعيان • أما أنا فحسبي من هؤلاء الذين يموتون من أجل فكرة • اني لا أؤمن بالبطولة فأنا أعرف أن هذا أمر سهل ، وقد تعلمت أنه أمر متلف خطر • ان الذي يهمني أن يعيش الانسان ويموت من أجل من يحب » • ويقصد هنا المرأة التي يحبها في باريس • ولكن صديقه يقول له « ان الانسان ليس فكرة واننا نختار الآن محبة كل انسان • والموت من أجل كل انسان » •

وهكذا تطرح القضية على شكل تقابل بين مستويين: مستوى حب انسان بعينه • ومستوى محبة كل انسان والعمل من أجله ، وينبغي تجاوز التقابل هذا باختيار أحدهما • وحين يحاول رامبير أن ينكر الطرف الثاني في التقابل لاعتقاده أن الانسان ـ أي انسان ـ غير جدير بالحب يقول له ريو ـ وهنا تبدو لنا القيمة الاخرى التي توجه عمل البطل العبثي وهي الشرف ـ يقول ريو : « ان القضية هي قضية شرف ، ولعل هذه الفكرة تبعث على الضحك ، ولكن الطريقة لمحاربة الطاعون هي الشرف• ولا أدري ما هو الشرف على العموم ولكني أعلم أنه في مثل وضعي يتلخص في أن يقوم الانسان بمهنته » • « ان الرجل الشريف ذلك الذي يملك أقل وسائل الشرود واللامبالاة ، وهو لذلك يفتقر الى الارادة والعمل » •

ويبدأ رامبير بالتراجع ، فيشك في صحة اختياره لحب فرد بعينه ، ويطلب الانضمام لفرقة الخدمة الصحية ريثما تسنح له الفرصة للهرب • وحين يدخل رامبير المعركة ، ويعاين موت عشرات الاشخاص ، ويسمع صراخ المتألمين وأنينهم ، يشعر انه مرغم للبقاء معهم ومشاطرتهم شقاءهم ، ولهذا فهو يقرر أن يبقى في الوقت الذي أصبح في امكانه الهرب • يقول : « كنت دائم التفكير بأنني أجنبي عن هذه المدينة وانه لا شأن لي بكم• أما وقد رأيت الآن ما رأيت ، فاني موقن بأني من هنا أردت ذلك أم لم أرد • وحين سأله الطبيب عن التي يحبها قال أنه سيشعر بالخجل ان هو ذهب • وحين قال له الطبيب انه لا سبيل للخجل ازاء ايثار السعادة ، أجابه رامبير « هذا صحيح ولكن ربما كان مخجلا أن يكون المرء سعيدا وحده » •

وهكذا فالانسان محمول لمحاربة هذا التشويه في العالم وعبثه ولا معقوليته ، بالمودة والمحبة والمشاركة ، فهذا هو سبيل الخلاص او السعادة أو السلام • يقول

أين الجواب ...

شعر : الصافي النجفي

أكما يرغب عذالك ؟ صد واجتناب
أنا أهواك وتهواني فلم هذا العذاب ؟
زدت في صدك حتى كاد يعروني ارتياب
بلحاظي لك نطق صارخ ، أين الجواب ؟
لك ألحاظي رجاء ونداء وكتاب
حسبها ايماءة منك اذا عز الخطاب
أنا اما فاتني الماء يرويني السراب

أنت تهواني وان كذب دعواي الصحاب
فشهود الحب ما فيهن زور وكذاب
يشهد السكر بجفنيك وما كان شراب
واصطباغ الخد بالحمرة ما فيها خضاب
حين أرنو لك تفتر ثناياك العذاب
وأنا شاهدي الادمع والقلب المذاب

الصافي

تارو : « لقد عزمت على أن أقف في جانب الضحايا في كل مناسبة لأحد من الاضرار ، فبين ظهرانيهم أستطيع على الاقل أن أبحث عن طريق للوصول الى السلام » . وحين سأله الطبيب عما اذا لديه فكرة عن الطريق الذي ينبغي سلوكه للوصول الى السلام أجاب : « نعم ، المودة ان الذي يهمني هو أن يكون المرء انسانا » .

ولا نكون أمناء اذا وقفنا عند هذا الحد ولم نبين مدى هذه الايجابية . ان الوباء بدأ بالتراجع حقا ، ولكن في الوقت الذي كادت أن تفتح فيه أبواب المدينة وان يحقق الانتصار النهائي ، أصيب تارو ، الذي كان أوقف حياته لخدمة الآخرين ، بالطاعون ، ثم مات . حينئذ شعر الطبيب بالهزيمة النهائية ، الهزيمة التي تنهي الحروب وتجعل من السلام نفسه عذابا لا شفاء منه . وهكذا فالسلام الذي صارعوا من أجله ، هو موت لتارو، وألم للطبيب . وماذا ربح الطبيب ؟ لقد ربح فقط انه عرف الطاعون وانه يتذكره ، انه عرف الصداقة وانه ليتذكرها . « ان كل ما يستطيع الانسان أن يربحه في معركة الطاعون والحياة المعرفة والتذكر . ولكن ان كان هذا هو ربح المعركة فما أقسى أن يعيش الانسان فقط مع ما يعرف ويتذكر ، محروما مما يرجو ويأمل ، اذ لا أمل من الصراع في هذه المعركة ، وليس من شيء يرجى تحقيقه بعدها » .

وقد يبدو من هذا كله أن كامو يريد أن يعود فيحطم قيمة العمل الانساني لان هذا العمل قد لا يحقق النصر النهائي ، وقد لا يوصل صاحبه الى السلام الذي يرجوه منه . والحقيقة أن كامو يرى أن العمل واجب دائماحتى ولو انتهى بالهزيمة . وان الطبيب الذي انتهى هذه النهاية (تموت زوجته وصديقه معا ، ويصاب هو نفسه بالارهاق) لن يتردد ضمن الاطار الذي رسمه له كامو ، لن يتردد في العودة الى الصراع والعمل فيما لو عاد الطاعون . ولن يتراجع عن كفاحه ومعاونته للآخرين . فالايجابية بهذا المعنى ليست مجرد العمل الانساني ، بل هي العمل الانساني الذي لا يتقهقر ولا ينثني ولو انتهى بالهزيمة .

ا ن العالم لا تنتهي منه الشرور . « وقصيمةالطاعون لا تموت ولا تختفي قط ، وانها تستطيع أن تظل عشرات السنوات نائمة في الاثاث والملابس . وانها تترقب بصبر في الغرف والاقبية وان يوما قد يأتي يوقظ فيه الطاعون جرذانه مصيبة للناس » بهذه الكلمات يختتم كامو روايته ولكنه يرى أيضا انه وان كانت قصيمة الطاعون لا تموت ، فان الجهد البشري ، والتمرد الايجابي عليها يستمر من غير أن يضعف أو يكل هو الآخر .

وأخيرا يمكننا أن نقول مع سارتر : « ان كامو يمثل في عصرنا هذا وضد التاريخ ، الوريث لتلك المجموعة من المفكرين الأخلاقيين الذين تؤلف كتبهم أكثر ما في الفكر الفرنسي من اصالة ... كانت انسانيته عنيدة ، قاسية كثيرة الحساسية.وهو بعناده المتواصل ورفضه المستمر للعبث ، أكد أنه من أنصار وجود الواقع الخلقي » .

حلب

ليلى سالم

الأصابع المتحررة

بقلم: غادة السمان

كان المكان يعج بدمى حية ، وروائح العطور والاصبغة المختلفة تختلط بضحكات نساء جمعهن أمر يشتركن فيه جميعا ، ألا وهو الرغبة في جلب الانظار ، والاستحواذ على الاعجاب .. واحدة تحدق في صورتها المرتسمة أمامها في المرآة ، ثم تنقل نظراتها بسرعة فأر مذعور الى عيني صاحباتها ، وكأنها تستجدي ومضة حسد تؤكد لها جمالها .. وأخرى جلست تحت أتون من شمس آب يدعى (السشوار) مجفف الشعر ، بينما أخذت المساحيق التي كانت تغطي وجهها تسح وتسيل ، فيبدو كاللوحة التي يخلط عليها الفنان ألوانه المختلفة .. وثالثة بعثرت شعرها الحلو كبيادر القمح السخية ، وأسلمته الى الحلاق ليجزه ، والخصل الذبيحة تترنح على شفة الموس الحادة .. والى جانبها جلست تاتا (فاطمة) ، وقد امتقع وجهها ، وانقبضت أساريرها ، وكأنها تضع مولودها الاول ، وعلى رأسها أكداس كريهة الرائحة ، وضعها جاك الحلاق المحبوب ، لتحيل الحرير الاسود الى صوف ماعزي أصفر !! .. فقد صرح دودي (دريد) صاحب الكاد الحمراء المكشوفة (الكاديلاك) في بارتي على مستوى أبناء أصحاب الملايين ، بان الرجال يفضلون الشقراوات .. والواقع انه حينما تعطف ورمى قنبلته كانت أفكاره تدور حول بوسي .. قطته المدللة الشقراء !! ..

وسط هذا الجمع الذي يتناقل الاشاعات كما يلتهم طعامه .. بلذة وبلاهة .. وقف جاك بقامته الفارعة وشعره ذي السالفين الطويلين وشاربيه الدقيقين اللذين كا يثيران تنهدة أكثر من عجوز غنية .. وتمر الرؤوس تحت يديه ، فهذا رأس أشقر مغرور .. ثم رأس كستنائي عجوز .. وبعده رأس أسود تتنهد صاحبته كلما لامست يد جاك طرف خدها .. فالليلة حفل المدينة الراقص الكبير .. وجاك اليوم بطل الساعة .. كل واحدة تتوسل اليه أن يجعل منها اسطورة السهرة ، وملكة جمالها الغير متوجة .. وكأن بقدرته أن يعيد خلقها ..



وهو يتحدث .. ويجيب .. يضحك ويغمز كالامير الساحر .. وهو يصفق حينما يطلب المقص ، ويضرب على الطاولة بطريقة موسيقية ، فتفهم نينا مساعدته الصامتة أنه يريد المشط ، أو الموس حسب ايقاع الضربات .. الواقع أنه من الاسهل عليه بكثير أن يحرك لسانه ويطلب ما يشاء ولكنه يعرف أن هذه الحركات قد تبهر الجالسات ، وتضفي عليه شخصية خاصة .. وتجعله سيد من قص الشعر منذ آدم الى يومنا بلا منازع ..

وهو يتحرك بين النساء برشاقة راقص الباليه .. لا يرفع عينيه عن الكتلة القابعة أمامه الا اذا فتح الباب .. حيث تتجه عيناه في نظرة خاطفة .. وفي قلبه دعاء

صامت .. « أرجو ألا تكون سوسن » .. وغالبا ما تكون سوسن .. اذ أنها مغرمة بأصابع السيد جاك الذي كان ذات يوم « ابن جيرانها » في حي قديم .. ولكنها اليوم تعرف جيدا كيف تحافظ على مركز زوجها المرموق - بالرغم من عشاقها العشر - .. وتعرف كيف تتجاهل صديق الطفولة الذي طالما انتظرت مروره في الزقاق المعتم وراء نافذتها الضيقة .. فهي اليوم السيدة (....) زوجة السيد مليونير !! ..

وجاك يعمل بسرعة مذهلة .. يزم شفتيه ويقطب جبينه قبل أن يبدأ بتمشيط احداهن حتى ليخيل للمرأة أنه حائر في اختيار أنسب تسريحة تبرز جمالها الفتان .. حتى اذا ما انتهى منها التمع في عينيه بريق ساحر يشبه الاعجاب ، ثم يميل برأسه الى أحد الجانبين وكأنه فقد صوابه أو كاد لجمال المنظر .. ويهمس برقة متناهية : غائعة (أي رائعة !! ..) وفي الاغلب تكون هذه الكلمة موجهة لشتاء امرأة عمل جاهدا على نبش ونفش ما تبقى من شعرها الذابل .. ويكون الشيء الوحيد الرائع هو .. جهوده الجبارة !! .. فتند عن شفتيها المتهدلتين بسمة تظهر صفا من أسنانها الاصطناعية البديعة .. بسمة لجاك حلاق النساء المرح ، وصانع الدمى الماهر لسهرة المدينة الكبرى ! ..

وهو يدور بين النساء .. ويضحك من نفسه !! .. من بسماته الآلية وتعليقاته السخيفة .. من اللامعنى الذي تنطوي عليه كل حركاته .. ويشعر بالاشمئزاز من ذاته .. من ذله وصمته .. ولكن ذلك كله جزء من رأسماله الذي يعيش به .. يشتري به خبزه .. وزوجته .. وثيابه !! ..

ها قد مرت عشرة أعوام وأصابعه الطويلة الدقيقة تتحرك باكية مفجعة ، بينما تلف الرؤوس تحت يديه .. وتتغير .. وهو واقف .. يعد الحسناء للقاء حبيبها .. والعروس لليلة زفافها .. وسوسن لعشاقها .. كالجائع في وليمة يعدها بنفسه .. للمتخمين !! ..

وتكر الايام والشهور .. والرؤوس تدور وتدور .. وتمر تحت يديه .. حتى أضحت بالنسبة اليه رأسا واحدا وحشيا .. يعيد ويعيد قص شعره وصبغه وتمشيطه كل ثانية .. منذ ولد وحتى يموت .. وتجمع قدره الممل الفارغ بين سامتي مقص رهيب .. يشعر أنه لن يقوى قط على اختراقه .. لانه جبان !! .. وهو يعرف أنه جبان .. انه يجهل كيف يصادق أو يشكو أو يحب .. بالرغم من العواطف التي يضج لها صدره .. انه جبان !! .. وقد اعتاد خوفه وضعفه كما اعتاد كل شيء .. الاشاعات والفضائح التي تقصها احداهن بعد ان تقسم عشر فتيات أو أكثر على كتمان .. السر !! .. وتنهدات العوانس ، بين يديه وتحديقهن المرعب في شاربيه وشفتيه .. وكأنه سلعة في سوق العبيد ! .. واعتاد أن يرى أنظار النساء جميعا تتسلل نحو الباب كلما دخلت امرأة جديدة .. فتفحصها العيون النقادة بقسوة .. كأنها تصفعها .. ثم يبدأ الهمس لاحصاء عيوبها التي لا يلحظها الرجل عادة أو يعجب بها على الاغلب .. لقد اعتاد ذلك كله .. واعتاد أن يقص شعر سوسن .. ويصففه .. ويعدها للقاء عشاقها .. وكأنه مجرد آلة شوهاء .. كم كان يتمنى لو تمردت أصابعه ذات يوم .. ولكن كل شيء يدور حوله ويدفعه .. وهو واقف بسلبية ذليلة .. كل ما في الامر أن أصابعه تعمل بميكانيكية حيوانية مريعة .. تدمي أعماقه الانسانية المعزولة .. تدمي كيانه البشري الذبيح .. أجل ! ان رؤوسهن باردة فارغة .. كعيونهن الملطخة بستائر الكحل .. انها متشابهة الى أبعد حد .. كرؤوس الخراف التي كان يذبحها أبوه الجزار كل صباح .. فيسيل دمها المسفوح على قدميه .. ويلطخ ثيابه .. ويهتز شاربه الكبير لذة وطربا كلما طار رأس الخروف واستقر على الارض .. كانت لذة أكثر بكثير من مجرد اعداده للسلخ والبيع واستغلاله في الكسب الحلال .. كان في عمله وسيلة مشروعة لاشباع تمرده .. رغبته العقيمة في الخلق .. لقد فشل في أن يخلق خروفا فكان عزاءه في .. قتل الخراف !! .. وجاك لن ينسى

قط يوم حاول أبوه أن يجبره على ممارسة مهنته •• كان ذلك قبل وفاته بعام واحد •• أي حينما كان في السادسة عشر من عمره •• انه ليذكر جيدا كيف رمى بالسكين التي دفعها اليه أبوه وتفجرت الدموع من عينيه وكأن طفولته المهملة تجمعت في هذه اللحظة المريعة •• بينما ضرب والـده الخروف المسكين •• بلـذة وجبروت كعادته •• وكأنه اله بين مخلوقاته •• وصرخ في ابنه باحتقار وغضب محموم « اضرب ياجبان •• مـاذا تخشى ؟ » ••

منذ ذلك اليوم تأكد أنـه جبان •• ولم يجرؤ على الاقتراب من فراش والده الذي ماتوهويهذي بالخراف المذبوحة ••

•• ومرت به الايام ، ولكنه ظل دائما تلك الورقة المهملة المستسلمة للرياح •• يـوم أخرجته أمـه من المدرسة بعد وفاة أبيه لم يعترض ! •• لم يقل لها أنه يهوى الدراسة •• وأنه متألم ووحيد وضائع •• وأنه يحب سوسن ابنة جيرانه الحسناء ويتمنى لو أنها كانت لـه ••

وهو لم يقل شيئا حينما كان يجد في مخدع أمه قفازا في الشتاء وربطة عنق حمراء في الصيف !! •• ولم يقل شيئا يوم أخذته أمـه ليعمل مساعدا لحلاق ادعت انـه قريب المرحوم والـده •• ولـم يقل شيئا حينما وقعت نظراته المذعورة على عنق هذا الحلاق القريب •• ورأى أن ربطة عنقه •• حمراء !! ••

فتح بـاب المحل فجـأة •• فاستيقظ من أفكاره •• حمدا لله •• انها ليست سوسن •• سوسن التي أحبها دائما •• بالرغم من كل شيء أحبها •• ان التفكير بها يعيد اليه بعضا من انسانيته الضائعة •• يؤكد له احساسه البشري •• ولكن •• عندما يزينها لعشاقها •• وعندما تنظر اليه بعينيها البلهاوتين المتجاهلتين •• يشعر بانسانيته الذليلة •• عمره الضائع وفشله المرير ••

وحين تأمره بأن يقص شعرها الذي يعبده •• يحس بآلام رهيبة في أصابعه •• ويتمنى أن يرفض •• يتمرد •• أن يفعل شيئا •• ولكنه جبان كما قال أبوه !! ••

انه ليذكر جيدا كيف كانت تقف الى نافذتها الصغيرة قبل أعوام طويلـة •• تنثر شـعرها المغسول متظاهرة بتجفيفه •• فيخيل اليه انـه يشم عبيره مسكرا منعشا كغابة صنوبرية عذراء •• كم كان يعيد تلك الخصلات المبعثرة •• ويتمنى أن يجمعها بشفتيه •• ويدفن فيها وجهه •• ويحكي لـكل شعره مأساة وأملا •• والف أغنية غزل ! •• ولكنه كان جبانا حتى معها••في طفولته لم يكن ليجرؤ على ضربها حين كانت تنتزع منه لعبه •• وفي مراهقته تمنى أن يقبلها ذات مرة •• ولـكنه لـم يستطع •• بالرغم من أن عينيها كانتا تدعوانه بنداء حار كنسيم السهول الاستوائية ••

وليلة اشترى غمازتيها الحلوتين رجل غني •• لـم يجرؤ على الشكوى •• كان دائما مستسلما وجبانا •• ومضت سوسن •• وخلفت في أعماقـه جرحا مفتوحـا تلعقه ديدان الليالي بشراهة ووحشية•• وتألقت سوسن •• وتناقل المجتمع حكايا عشاقها الذين كانت تنثرهم حولها كما تنثر العطر على صدرها المثير •• وكان يسمع كل شيء •• ويعرف كل شيء •• ولا يملك الا ان يزينها كلما جاءت ويقص الشعر الذي يعبده بميكانيكية مفجعة غريبة ، فقد غلبت الآلية على كل انفعالاته حتى كان حزنه على أمه يوم توفت جزءا من واجباته الاجتماعية •• جزءا من الوجه المرضي الذي يقابل به الناس ويدفعون لـه ثمنه زوجـة وخبزا •• وتزوج •• وكـذب •• وخدع •• وأتقن فن الفنون ! الريـاء الاجتماعي •• فتألق وأضحى جاك حلاق الطبقة الارستقراطية ••

كم يتمنى الا تأتي سوسن اليوم •• وكم يتمنى أن يضمها الى صدره المتعب طوال عمره •• انه بحاجة الى امرأة تمنحه ما لا يباع ولا يشترى •• وسوسن بالنسبة اليه تجسيد غريب خاطىء لهذه الاماني المبهمة ••

وفجاة •• انشق الباب عنها •• كان لا بـد من أن تجيء استعدادا للحفل الراقص •• دخلت وشلال من ظلام ينسكب على كتفيها ، ويعربد على ظهرها البديع••

وخصرها النحيل يهتز بدلال مثير •• وثوبها الاحمر الضيق يعانق جسدها بشدة ويوحي للناظر بأنه شفاف•• وبأنه سخي وكريم في عطائه للعيون النهمة ••

وجلست الى الكرسي أمامه وقالت بصوت أبح!«أريد أن أقص شعري وأصبغه أحمر !! •• » •• وتمنى أن يرفض أن يصرخ ولو مرة واحدة في عمره « أنا أحب شعرك ياسوسن •• شعرك الاسود الـذي طالما حكيت لكل شعرة فيه مأساة وأملا •• والف أغنية غزل •• وأرفض أن أقصه •• لانني انسان •• لانني لا أريد•• لي ارادتي •• لست جبانا » •• ولكن يده الذليلة تناولت الموسى وبدأت تعمل •• ببطء في بادىء الامر••والافكار تضج في رأسه •• « ياالصوتها القبيح الـذي سمعه •• لشد ما غيرتها الايـام •• ماذا فعلت بالضحكة الرنانـة كالذهب المسفوح ؟ تريد أن تقص شعرها الذي يعبده•• وهو بالذات بدأ يفعل ذلك !! •• بذل ممزق مريع •• انه لم يعد انسانا •• انه جزء من المشط الذي يمشط شعرها •• يده مجرد امتداد عظمي للمشط العاجي •• انه جزء من الاثاث الفاخر •• قطعة من قطع (السشوار) التي تعد رأسها للحفل •• انه يفقد الآن كل ما بقي له من انسانيته الضائعة •• لقد تجمع عذاب عمره كله في هذه اللحظة الابدية بطولها••ان صراخ النساء وجلبتهم طيلة عشرة أعوام قد تجمع الآن في أذنيه•• ضاربا رأسه المتعب بقسوة عجيبة •• لقد سئم نفسه •• سئم خيوط القدر التي تشده وتحركه كعروس خشبية •• والمرايا التي تعكس لوجهه عشرات الصور من كل زاوية » •• ورأى أن وجهه مخيف •• مخيف كوجه أبيـه حين كان يذبح خروفا •• ويصبغ رأسه بالدم الاحمر •• وسوسن أيضا تريد أن تصبغ رأسها أحمر !! •• صوت أبيه يدوي في أذنه •• اضرب ياجبان •• « كم يتمنى أن يغرس هذه الموسى الحادة في عنقها الابيض •• ان يغرسه بقوة ووحشية ثم يديره في الجرح حتى يتدفق الدم الحار ويغسل يديه •• يغسل ذله وعبوديته •• ويصرخ بملء فمـه •• « لست جبانـا •• لـن أقص شعرها •• » ولكنه لا يستطيع •• يعرف أنه غير قادر أبدا على اخراج البراكين التي تنبع من صدره •• ولا تصب الا فيه ••

ان أصابعـه في حاجة الى الحرية •• وبيديه حنين مجنون لتمزيق دوامة الشعر التي أخذت تلف وتدور أمام عينيه •• ان أصابعه الخنوعة قد بدأت تتمرد وتثور بقوة شيطانية لذيذة •• وتفقد مرونتها الآلية الذليلة •• ولكنه يختنق في دوامة الشعر الاسود الطويل •• ولكل شعرة طرف حاد كنصل سـكين ينغرس في عنقـه •• ووسط الضجيج والعذاب سمع صوت أبيه يضج بالتحدي والتمرد •• « اضرب ياجبان » •• وحاول بكل كيانه أن يضرب كما كان أبوه يضرب الخروف ويتلذذ •• حاول أن يركز في أنامله عصيانه المدمر على كل أيامه•• على طفولته وأمـه المهملة •• والرجل ذو ربطة العنق الحمراء •• ولـكن التمرد ظـل ككل أحاسيسـه •• مخنوقا •• دفينا •• يمزقه •• ولكنه لم يضرب !! •• وانما استمرت اليدان في قص الغدائر بذل انسان متألم متعب ضائع ••

وأحس بأنه كان يلطخ نفسه بوحل أحمر قذر حينما كدس الاصبغة الحمراء على رأسها •• ولما انتهى ونظر اليها •• أدرك أنها ماتت •• وان المدينة كلها ستحتفل الليلة بمأتـم سوسن في أعماقـه •• سوسن •• نجمه الوحيد الذي هوى ••

ومضت سوسن ومعها كل مـا بقي له من نفسه •• ومضى الجميع •• ونظر الى نفسه في المرآة ورأى أن وجه جزار يطل من عينيه !! •• ويصرخ فيه بسخرية محرقة •• ياجبان •• جبان •• وبصقته جدران محله الفخم الى الشوارع الرمادية •• فسار مستترا بالظلال وكأنه يختبىء من نفسه •• من خيبة عمره المهدور •• « انه ذرة دنسة معزولة عن كل ما حولها •• ياالاصابعه المتمردة التي تتقلص في اعياء مريع •• كم تؤلمه » •• وساقته قدماه الى الضاحية الصحراوية التي أقيم الحفل الساحر في واحة وسطها •• الاضواء تتألق من بعيد ••

فيبدو المكان لعينيه كجزيرة الهناء المحرمة .. وصوت الموسيقى الخافت تحمله ليالي الصيف لاذنيه مع ضحكات نساء .. لا ريب أن ضحكة سوسن بينها ..

ويشعر أن كيانه الانساني يتشنج ويتفتت في صمت مفجع ، يزلزل أعماقه ، ويعصف بأعصابه .. ويتمنى أن يحدث أي شيء يدمر ما حوله .. أن يشعر أن في الحياة ظاهرة طبيعية - على الاقل - تتجاوب معه .. ولكن كل شيء يظل في دورته الازلية البلهاء .. « كل شيء يتحرك بآلية وخازة .. كعقارب الساعة .. كالشمس الذليلة !! .. حتى الشمس ، ما جرؤت قط على الظهور قبل أوانها .. وهو أيضا .. آلة جبانة .. كملايين النمل التي تدب صباحا وتعود مساء .. بتفاهة مؤبدة .. ياللمدينة البلهاء السادرة في لهوها وصخبها وضجيجها .. دون أن تدري أنها تسحق نفوسا ونفوسا .. ياللمدينة التي تعربد وتضيء ، وكأنه ليس فيها قلوب متمردة يدمرها احساسها بالعبث ، بالتفاهة والضياع !! ..

كان قد اقترب كثيرا من مكان الحفل حتى ان الاضواء القوية أخذت ترهق عينيه .. كأنه خفاش قد اعتاد ظلامه .. حاول أن يخفيهما بيده .. ولكنه لم يستطع .. لم يستطع تحريك يده !! ..

لقد تمردت الاصابع !! .. واسترخت اليد الى جانب الجسد الموهن .. وفجأة أدرك بشيء من الذعر وبكثير من الارتياح المبهم أن أصابعه أصيبت .. بالشلل !! ..

ولا يدري لم أحس بلذة وحشية غامضة تجتاح دهاليز أعماقه .. وبألم جبار عاصف كآلة تنفجر .. فتهالك على الارض ، وأسند رأسه الى حجر أسود بجانبه .. بينما تدحرجت دموع حمراء من ثقبين مظلمين في وجهه ..

واقتربت منه قطة ضائعة .. وأخذت تعوي وتموء بطريقة انسانية مسعورة .. فيها حرقة غريبة ولوعة مبهمة .. ولكن صرخاتها ضاعت مع دموع صانع الدمى .. في ضجيج حفل المدينة الكبير .

دمشق - غادة السمان

درب البساتين

شعر : محمود البارودي

درب البساتين ، والأطياف ذائقة ... تحدث الناس عن سر البساتين

معشوشب أنت ، أقدامي على دعة ... تمضي وتغرق في النعمى وفي اللين

ما ذا وراءك قد أضنيتني لهـفاً ... ولج بي طيبك الملحاح يغويني

هذا السياج تراءى زاهراً عبقاً ... منعم اللغو ، ثرثار الرياحين

الحائط العطر الصداح وا عجباً ... هل شيدته يد المعمار بالطين

أم بالظلال وبالأضواء راعشة ... وحامد العطر في ذوب انتلاحين

توسدته غصون الزهر حالمـة ... بروعة النضج في أعتاب تشرين

وعشش الحب فيه رجع ساجعة ... وبوح حسونة هامت بحسون

تيك الكوى مزق في ثوب غانية ... تكشفت عن خبيىء جد مكنون

ما ذا وواء سياج الخلد من متع ... غر وما بالزوايا من أفانين

الباب دورب فالأنظار رائغـة ... تخطف اللون من وهج التلاوين

من أصفر شاحب أو أخضر بهج ... وأحمر ثائر الومضات مجنون

رحماك لا تغلق المصراع إن لنا ... خلف السياج ملاذاً جد مأمون

في ظل صفصافة فرعاء حانيـة ... ترخي الذوائب من حولي فتخفيني

تخيرته الرؤى عشاً وطاب لهـا ... فيه التغرد بين الحين والحين

الاوصياء الامناء

بقلم : باكير محمود

على ما يؤمن المرء يهلك ، وسلامة الانسان في الحياة عند الوقوف على الحقيقة ، ومهما مات ناس في طريقها ، فذلك وفر على الانسانية ، حيث أن سلامة أجيال تتوقف على تضحية أشخاص ، والانسان مائت لا محال ، شاء أم أبى ، وهناك كثيرون يؤمنون في قرارة نفوسهم بقاعدة (وليكن من بعدي الطوفان) حيث يفتش أحدهم عن سلامة نفسه ولو على حساب الحقيقة ، ولو على حساب الغير ، حتى ولو على حساب الاجيال من بعده ، حيث أن للانانية جذورا عميقة الاثر في نفسه ، خلقت بذلك عنده الشك ، وخلقت عدم الايمان بامكانيته السليمة التي يستطيع أن يؤدي بها الامانة حق الاداء ، فجعلته يسلك الطريق المعوج الى ما يريد هو لنفسه لا الى ما يريد الآخرون ، أو بالأحرى المجتمع المضنى بأجمعه ، وطرق الحقيقة المزيفة من أوسع أبوابها ، وحمل سيفه يدافع عن ايمانه المزيف هذا وهو واثق أن ضميره يقول له العكس ، ولكنه يبقى بعامل الغرور وعامل الطمع ، يدافع عن متاعه النتن حتى يلاقي نصرا مصبوغا بالدم ، ملوثا بكرامة الابرياء ، ويلاقي مجدا يرفعه شامخا فوق أطلال وطنه الخرب تحميه الذئاب . أو يلاقي الحقيقة السامية تطعنه في الصميم فيكون لعنة على مر الاجيال ، يخلف وراءه العار والهوان ، يهلك على ما آمن ، فيرميه

ابطال الترحلو :

دون بيرسون ـ بربارة جارنيسون ـ كي فاريللي ـ جاك روز ـ آرماندو فيلبرت ـ جورودي ـ سام هيستون ـ جين ساكوفيتش ـ ويم دوجنك ودوروتي دي .

حجز البطاقات :

تحجز البطاقات منذ الآن لكافة الحفلات من المحلات الآتية من الصباح حتى الساعة السابعة مساء :

مكتبة محاسن (بوابة الصالحية) ـ مكتبة قزيز (سنجقدار) ـ محلات نورا (أبو رمانة) دور السينما :

الفردوس ، الزهراء ، الامير ، العباسية وفي أكشاك البيع : أمام وزارة الاقتصاد تجاه البرلمان ـ أمام الاستعلامات في مدينة المعرض واعتبارا من الساعة الثامنة مساء تباع البطاقات في المحلات الآتية :

أكشاك البيع : أمام الملعب البلدي من جهة المتحف ـ وأمام ملعب الحفلة تبدأ الحفلات في تمام الساعة التاسعة مساء .

←

ايمانه هذا تحت أقدام الكرامة المطعونة ، ويدفنه في جحيم الباطل •

وقد رضي الكثيرون هذا المصير (العظيم) وانهم فخورون بذلك تدفعهم ثقة خارج نطاق نفوسهم ثقة خارجية ، ثقة بقوة ثابتة ثبوت مكانة الانكليزي أو الافرنسي ، نعم رضوا بذلك ، فتركوا خلفهم الجياع ، وهل يهمهم الجياع ؟ المشردين،وهل يهمهم المشردون؟ وتلك قضية أخرى للقضية التي يعملون لها ، والتي ستبقي الاجيال تبتسم ساخرة عندما تتصفح هذا التراث الملطخ ، ألا وهي (اقناع الحق بأنه باطل ، وأن الباطل الذي يعلوه انما هو الحق) ، وذلك كمن يصطاد النجوم بالحجارة ، أو كمن يقول ٥ × ٥ = ١٢ •

ذلك هو الواقع الأليم ، الواقع الذي يحمل عبء مسؤوليته المعتصم في الغار ، والصحراء والشجر ، وخلفه من يئن من المرض والجوع ، وليس هو ضحية الحقيقة فقط ، بل كل هؤلاء المعذبون ، من مريض وجائع ومحروم ، كل هؤلاء هم ضحية الحقيقة ، التي لا لبس فيها ، ولا جدال ، وان دارا سليما ثابت الجدران موصد الباب ، لا يدخله الثعلب ، وعندما ينام الراعي يظل الصخرة لينعم بالراحة والهدوء قليلا ، يقوم الذئب مقامه في رعي الماشية ، ولكن في بعض أجزاء الوطن العربي يتعاون الذئب والراعي على الماشية • وحسب الوطن العربي بلاء في هؤلاء ، حسب الوطن العربي بلاء في راضعي أثداء الأم الرؤوم (الاستعمار) ليكونوا أوصياء أمناء على سلامة مصالحها ، ولو على حساب آلاف المشردين الجياع ، ساكني الخيام والاكواخ ، ليقول له ديجول وأمثاله (برافو) ولتعلق له الاوسمة على صدره الكافر بالعروبة والفضيلة ، ولينعم قليلا بالسلطان والجاه المصطنع ، في حين يسهر خلف قضبان السجون مئات بل وآلاف ، ينظرون في الليل والنهار لامل باسم يفتح صدره لأمتهم المعذبة ووطنهم المهان ، ولا ضير ان ماتوا بعد هذا أية ميتة كانت •

ولا تتبلور القضية عند هذا الحد فقط ، ليستطيع المواطن الصالح تجميدها أو الاستعداد لها ، لمحوها من الوجود وتطهير الارض منها ، بل تتوسع القضية توسعا خطيرا ، لمحاولة نفث السم في نفوس الصغار المشردين ، ومحاولة اشعارهم أن تشردهم نتيجة تمرد هؤلاء على حقيقته المزعومة ومحاولة تلقينهم أبجدية الخيانة ، بما يرضي السادة ، ويعزز مكانته عندهم ، حيث لا رادع ولا رقيب • وحق لنا أن نقول عن كل قطر مبتلى بمثل هذا (مسكين) ذلك أن حماته يدافعون ويقاتلون الغاصب وجها لوجه بينما تلامذة الغاصب يعيشون على هواهم ، ويهدمون ما بنته الضحايا • وسلامة الوطن العربي عطشى الى الكثير من التضحية ، والصبر ، والثبات في وجه المكروه حيث أننا اختبرنا المرحلة التي كان فيها نداء الاحرار (صيحة في واد) أو نقاط ماء تتساقط على صخر ، لقد أصبحنا في مرحلة العمل المتواصل والنضال المستمر ، وأصبحنا في دور التحرر والانطلاق نحو هدف أسمى ، ومهما كان غذاء الغاية المثلى من ضحايا أو عناء ، فهي أغلى من ذلك بكثير ، وان كنا نلمس هبوب نسائمها ، فستعيش الاجيال المقبلة فيها هانئة البال مرتاحة الضمير •

وأخيرا نستطيع أن نقول ما لا ريب فيه أننا وان كنا نرى الدخلاء وعملاءهم يعبثون ، فذلك الى حين ، لان تيار القومية الجارف ، ومفاهيم الوطنية السليمة والشعور بالحق في حياة كريمة في وطن حر ، كل هذه العوامل أخذت طريقها الى قلوب وعقول الجماهير العربية في كل مكان ، والركب سائر الى الامام ومن الصعب جدا أن يتوقف ما دام هناك أوصياء أمناء حقيقيون يسهرون على الصالح العام ويعملون للقومية العربية مؤمنين بالله وبعدالة قضيتهم •

سلمية ـ باكير محمود

الصمت

شعر : محمد الحريري

قدست ياصمت ياأعجوبة الكلم — ياخمرة لم تذقها ثرثرات فم
ياقابعا في قرار النفس منفردا — يحوطك السحر والالهام من قدم
يازاهدا جل عن قول تردده — خناجر الهذر من وان ومحتدم
تعيش والفكرة الخرساء تملأها — بالهمس حتى تدوي صرخة الالم
تبني براكين حقد ثم تسترها — عن مقلة الهذر في حجب من العدم
وتستحي فيصيح الهذر ياخجلي — مما اقترفت وياخوفي ويا ندمي
وأنت تقبع في الأعماق منتظرا — هدير نارك في أكذوبة الأمم

* * *

ياصمت ياناسج الابداع في دعة — لولاك لم يلتفت قلب الى ضرم
ولا توسد فن زند ملهمة — ولا اهتدت رعشة الاوتار للنغم
فقم بنا من عثار الهذر منطلقا — فاننا من عثار الهذر لم نقم

أأنت لهذا يا شعور ويا حس

شعر : أحمد علي حسن

هنالك في نفسي بقايا من المنى — اذا ابتسمت يوما تخطفها يأس
أمر بها مستلهما وحي خاطري — فلا خاطر يوحي ، ولا جارح يأسو
وأبحث فيها عن شبابي ومطمحي — لعل بمرساها سفينة ترسو
وأطلب بأسي في مداها وقوتي — فلا قوة تبدو هناك ولا بأس
ومرت لياليها وأيام صفوها — عواطل لا ظل ظليل ولا شمس
وضيعني حب السعادة ، فانتهى — الى 'للغو ، لا السعد الحبيب ولاالنحس
وان شئت أن أحسو سلافة كأسه — فليس سوى يأسي وهمي ما أحسو
تحير في نفسي نزوع الى العلا — فلا جامح صعب القياد ولا سلس
ودمدم في قلبي نفير وعاطف — بعيد الاماني ، لا يلين ، ولا يقسو
عذاب وآلام ووجد ولوعة — أأنت لهذا ، ياشعور وياحس
وكاليوم مر الامس وهما ، وهكذ' — فلا اليوم مرجو النعيم ولا الأمس
وكل الغوالي من شبابي وصبوتي — تحكم في معروضها الثمن البخس
سلوت الهوى والانس حتى كأنما — هنالك لم يعش وصال ولا انس
وعفت الكؤوس المترعات من الهوى — فلا الحب يحلو لي هناك ولا الكأس
فياقلب لا تجزع اذا مضك الأسى — وحسبك ما لاقيت حسبك يانفس

وفـــاء

بقلم : نصري الجوزي

كانت ابتهاج تذرع أرض الشرفة جيئة وذهابا وهي تنتظر بفارغ صبر اوبة زوجهـا ، لتبثه شوقها العميق وتطلعه على الافكار الجميلة التي تدغدغ مخيلتها •

هي تشعر بالسعادة التامـة • تشعر ان الدماء تنساب حارة في جميع انحاء جسمها ، وتحس أن كـل عرق يهيب بها أن تقبل على الحيـاة وان تتمتع بـكل جميل فيهـا •

تقفز ابتهاج من مكان الى مكان برشاقة وخفة، وتتثنى في قفزتها هـذه ذات اليمين وذات اليسار كأنهـا غصن رطيب يحركه نسيم الربيع ، انها تريد أن ترفع عقيرتها بالغناء لتشـارك الحسون أغـاريده والعندليب زقزقته ، والطائر مرحه وحبوره •

اليست الحياة ساحرة فاتنة ، ؟ ربيع يعطيها الشمس المشرقة الدفاقة التي تبعث فيها النشاط ، ونسيم ليل عليل يهب رقيقا فينعشها ويزيد في بهجتها ، وأرض مكسوة ببساط هندسي أخضر يسر عينيها الساحرتين السوداوين، وحديقة غناء تزيد الجمال والطبيعة فتنة وبهاء •

وما بك بربيعها ؟ زوجها القوي الذي اختارته شريكا لها ، وفضلته عن كل مخلوق في العالم ، ووعدتـه أن تفرش حياته بالورود والرياحين • بـل ذلك المخلوق الحبيب الذي مـا خفق قلبهـا الا لـه وما عرفت معنى السعادة الا بقربه •

الساعة تقـارب السادسة وهـذا وقت مجيئه • انها تنتظره بشغف • فمتى يعود ؟ •

ها هو ذا يطل بقامته المديدة ويصوب أول ما يصوب عينيه العسليتين نحو شرفة المنزل • انه يرى ربيعه ينتظر أوبته • فليسرع انـه يخترق المسافة القصيرة المتبقية بخطوات عسكرية منتظمة متوجهـا نحو وكر الحب • نحو جنته •

ابتهاج تهرع الى الباب فتفتحه وتنزل السلالم أربعا أربعا لتستقبل زوجها فوزي • فتلتقي به في أسفلها فتفتح لـه ذراعيهـا وتضمه الى صدرهـا ضمات خالدة وهي تزقزق :

« أهلا بك ياحبيبي • أهلا بك يانسري » •

« أهلا بك ياحمامتي الوديعة • ياأعز المخلوقات على قلبي » •

* * *

تنقلت ابتهاج مع زوجها فوزي كما تتنقل النحلة من قفير زهر الى قفير آخر • فما تركت مكانا نضيرا الا أمته ولا سمحت ليوم بهيج أن يمر دون أن تتمتع بجماله • فهـذه غوطة دمشق الفاتنـة تستقبل ابنتها البرة أجمل استقبال ، فيصفق لها بردى ، ويجري نهر الفيجة هادئا سلسا ، وتتدلى لها أغصان أشجار اللوز والمشمش بشكل هندسي رائع كأنها تقول لها ما نحن أيها الغصن اللدن الا رموزا مصغرة لك • ويخاف النسيم أن يجرح وجنتيها فلا يهب الا رائقا عليلا • وذات يوم ••

تنكرت الايام بعد صفاء وحلت بذلك البيت السعيد نكبة قلبت أفراحه أتراحا وأعياده مآتما :

كانت ابتهاج تنتظر أوبة زوجها كعادتها واذ بشريك زوجها في مخزنه يخبرها ان سـيارة اجرة قـد صدمت فوزي عندما كان راجعا من عمله فنقل على أثرهـا الى المستشفى •

« فوزي في المستشفى • زوجي وسندي ؟ » •

وهرولت لتطمئن عليـه وتعرف مدى الاضرار التي لحقت بـه •

« كيف حاله يادكتور » ؟

« بخير • انمـا •••

انما يحتاج الى وقت طويل حتى يشفى » ••

« هل من خطر على حياته » ؟
كلا • كلا •

ونقلت زوجها الى البيت حسب تعليمات الاطباء وأخذت تعني بـه عناية فائقة • تضمد جراح يديـه ورجليه ، تغسل وجهه ، تضع له الوسائد بشكل يريحه ، تسقيه الدواء في الاوقات المعينة تطبخ له الطعام الذي يتوق اليه، وتجاذبه أطراف الحديث وتبعث في نفسه الامل للحياة والسعادة حتى نفذ ما كان يدخرانه وتنكر لها شريكه في العمل ، فشمرت ابتهاج عن ساعدالجدوعادت مدرسة كما كانت في سابق عهدها ، تعمل ليل نهار لتوفر لذلك المخلوق الذي اصطفاه قلبها كل هناءة وسرور •

سنة تمر بطيئة على هـــذه الحال • تفرق الصحب وانسحب الاهـل ، وانقطعت وفود أصحاب الحاجـات والمصالح ، وانطلقت الالسنة تلوك القصص والاحاديث الملفقة ، وغدا ذلك الوكر الجميل بل الكعبة التي كان يؤمها كل مرتاد ، غدا ، هادئا ساكنا يرفرف عليه طير الوفاق والسعادة •

يجلسان الى تناول الطعـام ، فتقدم لـه القسم الاكبر والحصة الراجحة ، وتكتم عنه كل خبر يزعجه وتحدثه حديث السلوى والتعزية ، وتقص عليه قصصا ونوادر طريفة •

ـ ولكن يا ابتهاج ••
ـ ولكن ماذا ؟

ـ لقد تفرق الاهل والصحب والاحباب ولم يبق لنا صديق ودود •

ـ ألست أهلك وأحبابك ؟

ـ بلى • أنت كل شيء لي في الحياة • بل أنت الحياة• وليس لي من ألوذ اليه سواك ••

ـ كل شيء يهون في سبيلك يا حبيبي • كل شيء • وتماثل فوزي للشفاء وأخذ يتنقل على عصا في أرجاء البيت •

ـ ما هذه ؟ كراريس طالبات ؟ ماذا جرى ؟ ألم تخبره زوجته أنها تساعد شريكه في العمل وأن الاموال لديها متوفرة من المرابح ؟ لقد كان يشعر بها تنهض مبكرة للتوجه الى غرفة الاستقبال • أكانت تصلح الدفاتر وتعد الدروس فوق ما تقوم به من خدمة بيتيه شاقة ؟ ألم يكفها أنها وفرت له أسباب الراحة وأعدت له كل ما يحتاج اليه قبل ذهابها ؟ كل شيء في البيت ظل نظيفا كما ألفه • غرفةالاستقبال والمطبخ وغرفةالجلوس ومكتبته• والازهار موزعة هنا وهناك بشكل فني يريح النظر ويسر العينين •

أين ابتهاج الآن ليفهم منها ما غمض ويعرف منها كل شيء ؟

هذه خطواتها على السلالم • انها تفتح الباب بمفتاحها وتدخل لتوها الى غرفة النوم •

ـ فوزي • أين أنت ؟ فوزي •

ـ هأنذا يا ابتهاج •

ـ ألم ينهك الطبيب عن المشي ؟ ألم يطلب اليك ألا تمشي الا في غرفة النوم ؟

ـ أردت أن أرى بيتي • أحببت أن أتجول في جنتي•

ـ وكيف رأيتها ؟

ـ رأيت في أحد أرجائها دفاتر وكتبا • ولكن كيف ذلك يا ابتهاج ؟ اشرحي ما غمض ••

ـ اني أشتغل مدرسة في وزارة المعارف •

ـ لماذا ؟

ـ لان شريكك في العمل تنكر لي • لانه أخذ •••

ـ فهمت • فهمت • لا تكملي • لا تكملي •

ـ ولهذا السبب ••••

ـ تحملت ما تحملت من أجلي • يا حياة نفسي ، يا زوجتي المخلصة الوفية •

وأخذها بين ذراعية وراح ينهال عليها لثما وتقبيلا ودموعـه تنهمر على خديـه ، دموع الفرح والعرفـان والشكر •

الكلمة العربية

بقلم : زكي الأرسوزي

لدى اقامة المقارنة بين اللغة العربية واللغة الفرنسية يظهر اختلاف آخر بينهما ألا وهو ثبات الاولى وتحول الثانية تحولا دائما • ان اللغة العربية تتمتع بالخلود بمعنى تبقى الحروف في الكلمات ، والكلمات في بناء الجملة محتفظة بالشكل الذي اختاره لها الذهن العربي فاستقر عليه • غير أن اللغة الفرنسية تتحول كلماتها



وقواعدها من جيل الى آخر تحولا يتعسر به على الاحفاد فهم الاجداد ، مما يلجىء الخلف الى الاستعانة بالترجمة للاستفادة من تراث السلف • هاك قصيدة عربية من العهد الجاهلي لقس بن ساعدة الايادي وتترك للقارىء الاختيار لقصيدة فرنسية ترجع بالوضع لعهد شارلمان المعاصر لهرون الرشيد • ولو أقيمت بينهما المقارنة تبين صدق وجهة النظر المقدمة وأما القصيدة فهي :

في الذاهبين الاولين
من القرون لنا بصائر
لما رأيت مواردا
للموت ليس لها مصادر
ورأيت قومي نحوها
تمضي الاصاغر والاكابر
لا يرجع الماضي الى
ولا من الباقين غابر
أيقنت اني لا محا
لة حيث القوم صائر

وأما السبب في خلود اللغة العربية فيرجع الى صدق البيان في هذه اللغة ، الى ثبات العلاقة بين الصوت والمعنى• كنا قد بينا أن للكلمات العربية ثلاث مصادر أساسية أولهما الاصوات التي تقع في الطبيعة كصوت خرير الماء وثانيهما الاصوات التي تحدث في الفم وعندئذ معنى الكلمة هو حداها في النفس كصوت « بت » وأخيرا الاصوات التي هي باردة الشعور في الهيجان كصوت « آخ » •

ولما كانت حروف أبناء في الكلمة العربية تتحرك اما على الفتح واما على الضم واما على الكسر ، وكان معنى كل من هذه الحركات هو صدى حدوثها في النفس ، فقد أصبحت الكلمة العربية صيغة ينسج الذهن على غرارها المشتقات الاخرى • وهاك مثالا من أمثلة لا تحصى توضح به وجهة نظرنا :

صيغة التصغير : رجيل (من رجل) • هذه الصيغة تقوم على تحريك الحرف الاول على الضمة ايذانا بالفعالية (بحسب حدس حدوث الحركة في النفس) ، وعلى تسكين الحرف الثاني تعبيرا عن معنى الركون •

هكذا استوحى الذهن العربي صيغة التصغير من امرىء تظاهر بالشجاعة ثم تراجع متخاذلا فأثار بتخاذله الهزء والسخرية وهناك صيغ الاسماء : الآلة والمكان والزمان والفاعل والمفعول ••وهناك صيغ الافعال أيضا : أفعل ، فعل ، استفعل ، افعل •• الخ • ومن هنا اقامة الموازين في اللغة العربية •

وأما نظام حروف أبناء في الكلمة العربية فيتبع طبيعة الصوت مصدر الاشتقاق • ومتى الحق حرف ما بالصوت الطبيعي انسجم الحرف الملحق بالصوت تعبيرا عن المعنى

الملحوظ أو المعنى المستحدث . هاك مثالا عما نعني بذلك نبغ .
في الأصل حرف « ن » يفيد ، بحسب حدوثه ، معنى الداخل المغلق ثم الحق ب « ن » حرف « با » تعبيرا عن الخارج فحصل من هذا الالحاق : نب . وهذه أصبحت أرومة لكل من : بنت ، ونبق ، ونبك ، ونبع ، ونبأ .. الخ . وكلمة « نبغ » التي استحدثت من نب بالحاق حرف « غ » بها تعني الأعتلاء مع معنى الغموض . فكأن بالذهن العربي يدرك بأن التفوق بين الاخوان يأتي من بزوغ الالهام في نفس النابغ ، من تحت الشعور . وبناء على ذلك فان ثبات الكلمة العربية يرجع الى كمالها بانسجام الصوت والمعنى فيها .

هكذا ينسج الذهن العربي الكلمات المستحدثة على غرار صيغ استقر عليها . والاستقرار يتبع الحركات التي تعبر عن الوظيفة . والآية : المثل الاعلى في السموات والارض ، انما تعبر عن نزعة الذهن العربي الى الصيغ المثالية . فكأن الكمال هو الاصل في الذهن العربي . وأما الخطأ فيأتي من الجنوح عن الحقيقة وكلمة «خطأ» نفسها تشير باشتقاقها من خطأ الى الحقيقة المتقدمة . وقد ترجع الى نزوع الذهن العربي الى الكمال نظرية ثبات الانواع الحيوانية الواردة في كتبنا المقدسة . أو ليست الاشكال الهندسية ذات التعريف الكامل مظهرا للنزعة المثالية ؟

واذا ما بدا الواقع منحرفا عن حقيقته ساور النفس القلق وعندئذ تشتد النزعة الى المثل الاعلى حتى تصبح واجبا ملزما للارادة . تعبيرا عن هذه الحقيقة اشتق الذهن العربي كلمتي حن وحق (العظم) من نفس المصدر . فكأني بهذا الذهن يشير الى أن الواقع من حقيقته على مثال العظم من حقه ، الانحراف يبعث في النفس الاضطراب والقلق وعلى قدر ما يبتعد الواقع عن الحقيقة يبدو الشوق الى المثل الاعلى رجاء بعيد المنال كما هي الحالة في الشعوب الهجنية التي تستشف من خلال واقعها المزور حقيقتها .

يظهر التحول ، عندنا ، في اللغة من الفصحى في الجاهلية الى اللهجة العامية في عهود الانحطاط ويظهر تحول آخر أيضا مرافق للاول من وجهة نظرنا الى المثل الاعلى . ان الجاهليين اذ كانوا يجعلون الحياة وقفا لاغراض تتعداها كانوا مثاليين . انهم كانوا يرون المثل الاعلى في متناول يديهم ، مندمجا فيهم ، قوام شخصيتهم . حينذاك كان المثل الاعلى من النفس كالتعريف الذي ينبه العقل للدائرة من الدائرة الواقعة على اللوح ليس من انفصام بين الواقع والحقيقة ، أو من ابتعاد بينهما . فلما أجاب الرسول على سؤال وجهته اليه احدى العربيات عما يجب على المؤمنة : أن لا تسرق ولا تزني فقالت صاحبة السؤال مدهوشة وهل تسرق الحرة أو تزني ، يارسول الله ؟ ولم يبد فيما ترك لنا الجاهليون من مآثرهم التقاء بين الرحمن والشيطان كما يبدو ذلك في آداب الشعوب السامية المتفرعة عن أرومة العروبة ؛ حتى لقد أهمل ، اذ ذاك ، الشيطان رمز الشر المضاد للرحمن اهمالا كليا . وهل يرجع السبب في الاختلاف بين الجاهليين وبين الشعوب السامية الاخرى لغير سبب الاختلاف بينهما في الاصالة ؟ ظل الجاهليون على الفطرة ، مقيمين قواعد الزواج على الاصطفاء في الاخلاق وظلت لغتهم ركائز تسند عقولهم في حبوتها الى المثل الاعلى . في حين كانت الشعوب السامية تنحدر بالهجانة متعددة عن حقيقتها بنسبة ايغالها في الانحراف عن مقومات الاخلاق . وهل للندامة والحسرة في الآداب الدينية معنى غير رؤية الواقع المنحرف على ضوء الحقيقة؟ في جو كهذا يبدو المثل الاعلى أمنية بعيدة المنال ، يتوقف تحقيقها على عالم آخر .

ألم نعان نحن أحفاد الجاهليين ، ما كانت تعانيه الشعوب السامية من انحرافها عن الاصالة في البنية واللغة ؟ ألم نشعر من جراء الاختلاف بين العامية والفصحى ، بان كياننا قد أصبح كالجسم الذي خرجت فيه العظام من أحقاقها ؟ لم تفقد الكلمة العامية بيانها وحسب ، بل أصبحت مشوهة يوحي تشويهها بشعور

تخلف الشيء عن مقوماته الأساسية .

ألا يرجع لنفس السبب أمر تحول الشعوب الحديثة عن المثالية الى الوجودية ؟ الا تدعو لغات هذه الشعوب ، بتحولها الدائم ، الى نزعة انطلاق الغرائز والميول لسجيتها مستقلة عن مراقبة مثل أعلى يتعداها ؟ اليست الوجودية نظاما فكريا ، أقيم ، على صعيد التأمل ، للتعبير عن تلك النزعة ؟ .

ولكن اذا كانت الغرائز تعين ، للحيوان حدود نظام حياته ، فان الميول ، عند الانسان ، قد تنطلق متخطية حدود ما يقتضيه نظام حياته بحيث يصبح العوبة تتقاذفها أهوائه . بدلا مما ينسقها ويجعلها طوع ارادته . واذا ما فقد الانسان سيطرته على ميوله تحولت الحياة عن أغراضها ، عن حكمة وجودها الا وهي أن يكون سيد مصيره .

وذلك ما يوحي بان بعثنا القومي سيكون . في الوقت نفسه ، رسالة انسانية تهتدي الاقوام على هدايتها سواء السبيل .

النقد الادبي ومناهجه

بقلم : سليم زهدي

تنحصر (*) غاية النقد في تحليل العمل الادبي وتقدير ما له من قيمة فنية ، فوظيفته بيان قيمة الأثر الموضوعية والتعبيرية والشعورية وتعيين مكانه في خط سير الادب وتحديد ما أضافه الى التراث الادبي وقياس مدى تأثره بالمحيط وتأثيره فيه وتصوير سمات صاحبه وخصائصه الشعورية والتعبيرية وكشف العوامل النفسية التي اشتركت في تكوين وخلق العمل الادبي •

ولم تأخذ كلمة نقد هذا المعنى الأصطلاحى الا منذ العصر العباسي أما قبل ذلك فكانت تستعمل بمعنى الذم والاستهجان واستخدمها الصيارفة في تمييز الصحيح من الزائف في الدراهم والدنانير ومنهم استعارها الباحثون ليدلوا بها على الملكة التي يستطيعون بها معرفة الجيد أو الرديء من النصوص فالعمل الادبي أيها السادة هو موضوع النقد الادبي ولعل خير ما يعرف به العمل الادبي هو ذلك التعريف الذي أورده سيد قطب في كتابه النقد الادبي قال : انه التعبير عن تجربة شعورية في صورة موحية فكلمة تعبير تصور لنا طبيعة العمل ونوعه وتجربة شعورية تبين لنا مادته وموضوعه وصورة موحية تحدد لنا شرطه وغايته فالتعبير عن التجربة الشعورية هو رسم صورة لفظية موحية مثيرة للانفعال الوجداني في نفوس الآخرين وهذا شرط العمل الادبي وغايته وبه يتم وجوده ويستحق صفته •

ليست غاية العمل الادبي اذن أن يعطينا حقائق عقلية ولا قضايا فلسفية ولا شيئا من هذا القبيل كما أنه ليس من غايته أن يحقق لنا أغراضا أخرى خارجة عن ذات التجارب الشعورية كأن يحثنا مباشرة على الفضيلة وينهانا عن الرذيلة وان كانت هذه الغايات قد تتحقق عادة نتيجة لانفعالنا بالعمل الادبي ولهذا يجب علينا أن نفرق بين الاغراض المقصودة والنتائج التبعية فالانفعال وحده هو غاية كل عمل أدبي أما آثاره الخلقية أو الاجتماعية فنتيجة للانفعال قد تقع أولا تقع ولا علاقة لها بحكمنا على قيمة العمل الادبية ، ليس معنى هذا أن العمل الادبي لا غاية له فالواقع أنه هو غاية في ذاته لانه بمجرد وجوده يحقق لونا من ألوان الحركة الشعورية وهذه في حد ذاتها غاية انسانية وحيوية •

ومن الواضح عند أية محاولة تاريخية للنقد بأنه فن مشتق من غيره أو متوقف على غيره فالادب يوجد أولا ثم يوجد نقده ذلك لان النقد يتخذه موضوعا له ، اذ من غير المعقول أن يوجد النقد بدون أدب يشتق منه قواعده ويسلط عليه مقاييسه ويصور فيه رضاه وسخطه•

والنقد الادبي عند العرب نشأ عربيا وظل عربيا صرفا وذلك لان أساس كل نقد هو الذوق الشخصي تدعمه ملكة تحصل في النفس بطول ممارسة الآثار الادبية • ولعل من الخطأ والظلم أن يقال بأن النقد العربي ليس عربي النشأة فلقد وجد النقد الادبي بصورته البدائية بعد أول قصيدة شعرية قالها العرب لانه كان ملازما للشعر ونحن نعلم بأن الشعر يثير بفضل خصائص صياغته أنواعا

(*) محاضرة القيت في المركز الثقافي العربي في اللاذقية

خاصة من الانفعال ومن المؤكد أن تكون هناك استجابات وأن يصدر عنها النقد . والذي لا شك فيه أن استجابات العرب لم تكن فاترة وفي أخلاقهم عنف البداوة كما أن في شعرهم ما يحرك ضروبا من الانفعال الشخصي والقبلي . ولنتساءل الآن هل يمكن أن نسمي هذا النقد الذوقي المنفعل نقدا دون أن يكون في ذلك افسادلحقائق التاريخ أو اخلال بأصول البحث ، والجواب على هذا سهل وبسيط ، فليس من شك أننا لا نستطيع أن ندرك طعم شراب أو طعام ما لم نتذوقه بأنفسنا ولا يمكن أن يغنينا عن هذا التذوق الشخصي أي تحليل كيماوي أو شهادة خبير وكذلك الامر في كافة الفنون فأي وصف للوحة زيتية أو تمثال لا يمكن أن يغني عن الرؤية المباشرة وكذلك الامر في الادب فذوقنا الخاص هو أساس كل فهم له بحيث يبدو أمرا مشروعا وهو بعد حقيقة واقعة حتى عند العلماء من النقادالمحدثين والمحدثين فالتأثرية قائمة على أساس كل نقد حتى نرى عالما « كالانسون » يقرها ويعترف بها فالنقد الذوقي اذن نقد مشروع وحقيقة واقعة يقرها منهج النقد الحديث ضمن شروط خاصة .

قلنا أن النقد عند العرب بصفته الذوقية كان ملازما للشعر غير أن النقد الذي يقوم على منهج تدعمه أسس نظرية أو تطبيقية ويتناول بالدرس مدارس أدبية أو شعراء لم تظهر بواكيره الا في القرن الثالث الهجري وما بعد حيث ألف ابن سلام كتابه طبقات الشعراء أما ما يثار من مشاكل حول النقد العربي فسببه سيطرة أرسطو على العقل البشري قرونا طويلة مما ثبت في النفوس النزعة التقريرية التي تستند الى أصول المنطق فتتخذ من التقسيم أساسا للمعرفة ، وهذا ما دعا بعضهم للتساؤل عن منحى النقد عندما يكون ابتداء من القرن الثالث أهو عربي النزعة أم اغريقي ورأوا فيه تيارين مختلفين تيار قوامه ابن جعفر الذي حاول وضع علم للشعر وعلم للنثر يقومان على الفروق الشكلية التي مكن لها أرسطو بمنطقه في كل ميادين المعرفة ، وتيار أدباء العرب الذين صمدوا لذلك المذهب فنحوه عن الادب ونقد الادب بحيث لم يكن له كبير أثر لديهم وانما أثر قدامة وأرسطو بخطابته وشعره ومنطقه بأكمله في نشأة علوم اللغة وبخاصة البلاغة التي هي من أدوات النقد ولكنها ليست اياه .

والذي حدث عند العرب تاريخيا هو أن النقد قد تأثر في منهجه بالعقلية الجديدة التي كونتها فلسفة اليونان والتي اتخذها المعتزلة وعلماء الكلام أساسا لمجادلاتهم في التوحيد والفقه وهذا ما يفسر تغير النقد من نقد ذوقي غير مسبب يقف عند الجزئيات ويقفز الى تعميمات خاطئة تجعل من شاعر أشعر الناس لبيت قاله الى نقد ذوقي مسبب يحاول أن يقصر أحكامه على الجزئية التي ينظر فيها فان سعي الى تعميم لجأ الى الاستقصاء واحتاط في الحكم على نحو ما نرى عند الآمدي في كتابه الموازنة بين الطائيين .

وتنتهي بنا النظرة التاريخية الى التمييز بين النقد الادبي والتاريخ الادبي فان النقد سابق للتاريخ عند العرب وأساس له واذا صح أن الادب هو كل المؤلفات التي تكتب لكافة المثقفين لتثير لديهم بفضل خصائص صاغتها صورا خيالية أو انفعالات شعورية أو احساسات فنية بينما تكون غاية النقد اظهار خصائص تلك المؤلفات أما التاريخ الادبي فيجمع تلك المؤلفات تبعا لما بينها من وشائج في الموضوع والصياغة وعلى هذا يدرس النقد رثاء المهلهل لاخيه كليب والخنساء لصخر وابن الرومي لابنه والمتنبي لاخت سيف الدولة كلا منهم منفردا ثم يأتي تاريخ الادب فيؤرخ للمراثي عند العرب فيكون عمله تأريخا لفن أدبي .

ويدرس النقد غزل جميل وكثير أو غزل العرجي وعمر بن أبي ربيعة ويأتي التاريخ الادبي فيؤرخ للنسيب العذري أو لغزل اللذة الحسية ويكون عمله تأليخا لتيار فني أخلاقي .

والتاريخ يؤيد نفس الحقيقة فالنقد الادبي سابق عند العرب للتاريخ الادبي بل هو أساسه الجوهري وهذا

يبدو واضحا في كتاب طبقات الشعراء لابن سلام وذلك كما هو واضح في منهج تبويبه للادب ومن اتخاذ أحكام النقد. كتقسيم الشعراء وفقا لمبدأ الزمان والمكان والمميزات الفنية • ولقد فطن ابن سلام الى كثير من الشروط التي يجب أن تتوفر في الناقد والنقد ومنها الدربة والممارسة وتحقيق النصوص وتفسير الظواهر الادبية كما أنه وضع أسسا للمفاضلة بين الشعراء • وظهور ابن قتيبة في نفس القرن لا يغير شيئا من مفهوم النقد عند ابن سلام ذلك لان ابن قتيبة قد تناول في كتابه الشعر والشعراء مسائل عامة محاولا أن يضع لها مبادىء واكتفى بسرد سير الشعراء ونقد بعض أشعارهم على غير منهج واضح كالذي ساعد على خلقه ابن المعتز في كتابه البديع حيث أرسى دعامة من دعائم النقد المنهجي بتحديده لخصائص مذهب البديع، والظاهرة التي سادت عند أصحاب مذهب البديع لا تشبه في أي صورة مذهب شينييه الذي ظهر في القرن الثامن عشر والذي دعا الى تجديد الشعر الفرنسي فقال شينييه بيته المشهور « لنقل أفكارا جديدة في صياغة قديمة » فأصحاب مذهب البديع لم يقولوا أفكارا جديدة في صياغة قديمة بل حاولوا بوجه عام أن يقولوا الافكار القديمة في صياغة جديدة وبخاصة عند أبي تمام الذي لم يكد يجدد شيئا في موضوعات الشعر وانما تجددت المعاني في القرن الرابع والخامس عند المتنبي وأبي العلاء •

ولقد أفاد قدامة بن جعفر من الثقافة اليونانية ومما كتب أرسطاطاليس في الشعر والخطابة فألف نقد الشعر ونقد النثر وانبعث النقاد يوازنون ويقارنون لا بين المحدثين والقدماء بل بين المحدثين أنفسهم فلاحظوا أنهم ينقسمون الى مجددين ومحافظين واتخذوا أبا تمام رمزا للجديد والبحتري رمزا للقديم وأقاموا بين المنهجين المتنافرين مقارنة واسعة نهض بها الآمدي في كتابه الموازنة بين أبي تمام والبحتري ثم نظروا فرأوا المتنبي يتخذ لنفسه أسلوبا جديدا لا يقوم على القديم كما يتصوره البحتري ولا على الجديد كما يتصوره أبو تمام فكان أن كتب علي ابن عبد العزيز الجرجاني دراسته الوساطة بين المتنبي وخصومه •

وكانت أبحاث الاعجاز القرآني تنمو أثناء ذلك وتنمو معها دراسات البيان فجمع الامام عبد القاهر الجرجاني هذه الدراسات وأخضعها لضرب من التفكير العقلي الفلسفي ضمنها كتابه دلائل الاعجاز • وتقف هذه الحركة الدافعة في النقد بعد ذلك ولم يعد هناك نقاد يبحثون بحثا دقيقا في المذاهب الادبية أو في شؤون البلاغة وكان عمل النقاد الذين أتوا بعد ذلك كابن رشيق وابن الاثير والسكاكي والخطيب القزويني ينحصر في تلخيص نظريات النقاد القدماء أو تنسيقها •

هذه هي صورة النقد العربي في عصوره الماضية ينشأ ساذجا ثم يتطور تطورا حيا ولهذا فان أي بحث في مفهوم النقد الادبي الحديث لا بد لـه من دراسة النظريات والاساليب النقدية التي أتينا على ذكرها لان النقد الحديث أصل أصيل من النقد الذي كان في القرن الثالث والرابع الهجري وما النقد في أدبنا العربي الحديث الا امتداد متطور للنقد في عصوره الماضية مع ملاحظة أن النقد في النهضة الادبية الحديثة قد خضع لمفهوم جديد أملته الحياة الجديدة وفرضه الادب الجديد الذي صور هذه النهضة ورسم آمالها وآلامها •

ولقد تعددت مذاهب النقد الادبي الحديث مع تعدد المذاهب الادبية فمن النقاد من يرى اليوم أن النقد يجب أن يكون موضوعيا وهؤلاء هم أصحاب النزعة العلميـة وهي نزعة صادقة ولكنها قد تقودنا الى مفهوم خاطىء للادب ، فالادب في الواقع تعبير عن تجربة شعورية أساسها الوجدان وهـذه التجارب لا يمكن أن تخضـع لميزان الموضوعيـة البحتـة دون اشراك عامل الذاتية والعاطفة والذوق • وفي الحق أن النقد الصحيح يجب أن يخضع لمناهج الموضوعية دون أن يغفل العامل الذاتي فالنقـد الذوقي كما قلنا نقد مشروع يعترف به النقاد أمثـال لانسون وابركرومبي وهذه هي نفس الحقيقة التي أدركها أكثر النقاد في أدبنا الحديث •

قلنا في بدء هذا البحث أن غاية النقد الادبي ووظيفته

تتلخص في :

١ ـ تقويم العمل الادبي •
٢ ـ تعيين مكانه في خط سير الادب •
٣ ـ تحديد مدى تأثر العمل الادبي بالمحيط ومدى تأثيره فيه •
٤ ـ تصوير سمات صاحبه من خلال أعماله •

فاذا كانت هذه هي وظائف النقد الادبي وغاياته فما هي المناهج التي تكفل لنا تحقيق هذه الغايات •

١ ـ المنهج الفني: وهو أن نواجه الاثر الادبي بالقواعد والاصول الفنية المباشرة فننظر في نوعه أقصيدة هو أم رواية أم خاطرة أم مقال أم بحث ثم ننظر في قيمة الشعورية وقيمة التعبيرية ومدى ما تنطبق على الاصول الفنية وفي حدود هذا المنهج نملك أن نواجه العمل الادبي فنحكم عليه حكما تقريريا قائما على دعامتين الاولى تأثرنا الذاتي بهذا النص ذلك التأثر المنبعث من ذوقنا الخاص وتجاربنا الشعورية والفنية السابقة والثانية نظرتنا الموضوعية على قدر الامكان الى القيم الشعورية والتعبيرية الكامنة في هذا العمل •

٢ ـ المنهج التاريخي : أما اذا رغبنا في أن ندرس مدى تأثر العمل الادبي أو صاحبه بالوسط ومدى تأثيره فيه أو رغبنا في دراسة الاطوار التي مر بها فن من فنون الادب أو لون من ألوانه أو في معرفة مجموعة الآراء التي أبديت في عمل أدبي أو في صاحبه لنستدل منها على لون التفكير السائد في عصر من العصور أو اذا حاولنا أن نجمع خصائص جيل أو أمة في آدابها فاننا نصل الى المنهج التاريخي •

٣ ـ المنهج النفسي : العنصر النفسي أصيل بارز في العمل الادبي واذا نظرنا الى صميم الاثر الادبي استطعنا أن نلمس العنصر النفسي بارزا في كل مراحله لان العمل الادبي هو استجابة معينة لمؤثرات خاصة وهو بهذا عمل صادر عن مجموعة القوى النفسية ونشاط ممثل للحياة النفسية وهو لذلك يستدعي استجابة معينة في نفوس الآخرين فالخصائص الشعورية مسألة نفسية بحتة •

والناقد الذي يتبع المنهج النفسي يرى نفسه أمام تساؤلات لا بد له من دراستها والاجابة عليها •

كيف تتم عملية الخلق الادبي وما هي طبيعته من الوجهة النفسية والشعورية وما هي دلالة العمل الادبي على نفسية صاحبه وكيف يتأثر الآخرون بالعمل الادبي عند مطالعته فان استطاع أن يجيب على هذه الاسئلة سار نقده وفق المنهج النفسي •

والمناهج بصفة عامة في النقد تصلح وتفيد حين تتخذ منارات ومعالم ولكنها تفسد وتضر اذا جعلت قيودا وحدودا شأنها في هذا شأن المدارس في الادب ذاته فكل قالب هو قيد للابداع •

ولقد سلك النقد العربي الحديث في أحيان كثيرة طريق المنهج المتكامل الذي يجمع بين المناهج الثلاثة السابقة ونستطيع أن نرى أمثلة لهذا في كتابي الدكتور طه حسين عن المعري وفي كتبه عن المتنبي وحديث الاربعاء كما نرى أمثلة ذلك في كتب العقاد عن ابن الرومي وشاعر الغزل وجميل بثينة •

ان المنهج المتكامل لا يعتبر النتاج الفني افرازا للبيئة العامة ولا يحتم عليه كذلك أن يحصر نفسه في مطالب جيل من الناس فالاديب في عصر من العصور قد يعبر عن أشواق انسانية للجنس البشري كله ولمشكلات هذا الجنس الخالدة التي لا تتعلق بوضع اجتماعي قائم انما تتعلق بموقف الانسانية كلها من هذا الكون ومشكلاته كالغيب والقدر والضمير والشوق والتلهف للقاء •

وهذه كلها لا تتعلق بزمان ولا ببيئة ولا بعوامل تاريخية ولم يكن ابن الرومي يعبر عن ذاته فحسب وانما عن موقف انساني خالد عندما يقول :

ألا من يريني غايتي قبل مذهبي
ومن أين والغايات بعد المذاهب

سليم زهدي

الديدان .. تحب أكل العيون !

قصة بقلم : اسكندر لوقا

الارض لا تعرف الشبع . بطن الارض ، هذا الجوف المغلف بالجدران السميكة ، يتسع لكل قادم جديد . أهلا وسهلا وألف مرحبا ..

الحياة ؟ ما الحياة ؟ انها في ومضة عين تتفتح على بعض ما تشتهي النفس .. ثم تتلاقى الجفون ويعود الظلام ليكتنف الوجود . كل الوجود .

أهلا وسهلا ..

حفار القبور لا يعرف الحزن أبدا . انه يشاهد الحزن مرسوما على الوجوه .. ويكتفي بمراقبته ..

أحيانا ، يسمع حفار القبور الحزن ينبعث من حنجرة تتقلص بشدة وتقاوم البكاء . وأحيانا أخرى يبدو الحزن لعينيه صمتا .. ولكنه قلما يكون صمتا معبرا ..

أهلا وسهلا ..

المقبرة لا ترد ميتا ! الارض لا تعرف الشبع .. والطعام متوفر ..

هذه الاكوام البشرية التي تتدحرج على الرصيف المقابل . هؤلاء الناس الذين ينظرون في عيني ببلاهة .. لم لا يموتون دفعة واحدة وتموت معهم هذه النظرات الكامدة .. وتذوب معهم هذه الآهات التي تدور حولي وكأنها أسئلة تبحث لنفسها عن ردود ؟

لم لا يموتون ؟

أهلا وسهلا ..

ان يدي لقويتان . انني مستعد لشق عشرين .. ثلاثين .. مئة حفرة في اليوم الواحد فوق صدر الارض .. ولن أقول : آخ .

أنت ! انك تنظر في عيني ببلاهة . انك كالآخرين . ولكن هل تدري أنك لن تفلت من يدي وانا سنلتقي ، هنا ، في يوم من الايام ؟

من يعلم ؟ !

اذا مت قبلك ، فلن نجتمع ثانية . وأما اذا مت قبلي ، فسوف أستقبلك باسما وهازئا معـا ، وسأرمي بك في احدى حفري . يومذاك ستكون عيناك جامدتين ، وسوف تأكلهما ديدان الارض . الارض لا تعرف الشبع .. وكذلك الديدان التي تحب أكل العيون .. خاصة العيون البلهاء !

أهلا وسهلا ..

دعوني أقدم اليكم نفسي . أنا حفار القبور . عمري أربعون سنة . عندي ، في البيت ، خمسة أولاد وزوجة طيبة ولكنها غبية .. وهذا هو سر سعادتي . وكلنا نعيش على حساب دموعكم السخية الحارة لا أراكم الله مكروها بعد اليوم . أكبر أولادي عمره خمسة عشر عاما .. وأصغرهم في الشهر التاسع من عمره . انني أحب هذا الولد كثيرا ، بل أعبده . وعندما يلف بيديه الصغيرتين رقبتي ، أحس بالدفء الذي أفتقده بين ذراعي زوجتي الطيبة .. زوجتي الغبية ..

ومن دموعكم السخية هذه ، يذهب ثلاثة من أولادي الى المدرسة ، وتلبس زوجتي ثيابها ، وتقدم أحيانا الهدايا لصاحباتها . ان حالتنا المادية لا بأس بها . الارض لا تعرف الشبع . والطعام كثير . والرزق على الله . وأنا رجل على البركة .. قلبي أبيض كالفلة .. وصاحب نوايا حسنة . دعائي الى الله لا ينقطع . سبحانه وتعالى يستجيب لدعائي مرة كل يوم ، وأحيانا عدة مرات ..

أهلا وسهلا ..

سبعون عاما ؟.. اذن القضية لا تحتاج الى دموع من أي نوع كانت ..

ــ البقية في حياتك يا سيدي البيك .

ـ شكرا ..

ـ كم يملك المرحوم ؟

بنظرة عاتبة ألقاها على الرجل الوسيم جعلني أقف عند حدي . ولكنه رغم كل انفعالاته الطارئة لم يقو على محو آثار الضحكة المجلجلة ، التي فجرها سؤالي في أعماق نفسه ، فبانت ، وبشكل ما ، على أطراف شفتيه وهو يسترد نظرته العاتبة ويخاطب أحد المشيعين بكلمات خافتة .. ولكن يبدو انها هامة .

رجل آخر كان يقف بين المشيعين أفهمني أن «المرحوم» يملك عدة عقارات ، ورصيدا ضخما في مصرف شهير ، و .. زوجة جميلة عمرها ثلاثون سنة ، الرجل الذي سألته منذ قليل كان شقيق الزوجة السعيدة . لو عرفت بذلك لما واسيته .. بل لكنت هنأته ..

أهلا وسهلا ..

الميت هذه المرة طفل . مسكين . ترى كم عمره ؟ ولكن ما شأني أنا ؟ ولماذا يجب أن أحس بالحسرة ؟ ان الله هو الذي يرزق عباده . قلبي طيب ولا يعرف الحسد .. وعندي خمسة أولاد وزوجة ..

ترى هل يموت كل هؤلاء الناس لاعيش أنا وأولادي وزوجتي ؟

لو مات الشيوخ لكان الامر طبيعيا ، لان صدر الارض لا يمكن أن يتسع للجميع . يجب أن يموت الشيوخ ليأخذ الشباب مقاعدهم .. ولكن بما أن القادم الآن ـ أهلا و .. ـ طفل ، فالقضية لا بد أن تحتوي على سر . ما هو هذا السر ؟

ـ لا تبك يا صديقي . انني أب مثلك . عندي أولاد صغار . انني أعرف طعم الولد الذي يحبه أبوه .. لا تبك ..

انهمرت دموع الاب المفجوع على خديه غزيرة ، سخية . حاولت أن أعيش حزنه ولكنني لم أقو . كل يوم أقابل أناسا في عيونهم دموع غزيرة وسخية . بعضهم يبكي بصوت عال ولا يستمر بكاؤهم طويلا . ومنهم من تبقى الدموع عالقة في زوايا عيونهم حتى سماعهم كلمة رثاء فتتدفق حينئذ . لماذا ينقسم هؤلاء الباكون الى صفين؟ لماذا أريد في بعض الاوقات عيش أحزانهم ولا أستطيع ؟ لست أعلم . أنا مجرد حفار قبور . أحاول أن أفلسف الامور في بعض الاوقات ولكنني لا أنجح .

ـ كم عمر ابنك يا صديقي ؟

ـ تسعة أشهر ..

ـ تسعة أشهر ؟

ـ تسعة أشهر ..

يلح على الآن شعور غريب . انني لا أستطيع وصف هذا الشعور . وأسمع كلمات تتردد في زوايا عقلي الثقيل . ان بطن الارض لا بد أن يمتلىء في يوم من الايام .. ويومئذ لن يتسع للاطفال الذين أعمارهم تسعة أشهر ..

متى يمتلىء بطن الارض ؟

متى يمتلىء ؟

بافلة الفيرتيج

بقلم : ايفان مازوف

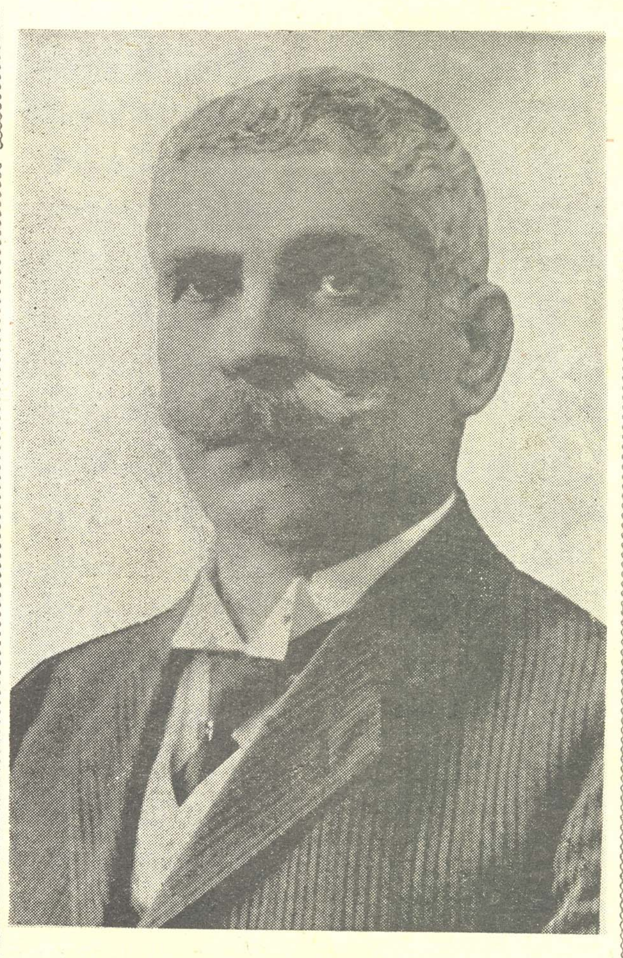
كل الناس كانت تعرفه في حيصاريا ، وكان يستقبل الضيوف في باب القلعة الجنوبي في الموقع المسمى «ليشامو» (الجمال) بالسلام المحبب والقفزات المغتبطة وبالفكاهات، وكان يداعبهم مثلما يشاء ويريد ، وكل واحد كان يعرف بافلة الفيرتيج والجميع كانوا يحبونه ويسخون عليه بالبخاشيش .

كان بافلة الفيرتيج وهو فتى بين ١٨ و ٢٠ من العمر ابلها قليلا ونصف مجنون ، غير مؤذ مختل العقل غالبا ، صاحب نكتة أحيانا ، تحت ألبسته الممزقة ومنظره المشفق وفي وجهه الدرن عيون سوداء يضيئها الفرح المستمر والمرح من دون سبب - فرحان من دون داع هزل دائما - مستعد دوما أن يتفوه بشكل غريب غير منتظر وغبي عميق وعلى أهبة الاستعداد لتلبية كل خدمة ولتنفيذ كل ما يطلب منه وتبليغ ما لا يطلب اليه وللمفاجأة والضحك . وكان قد أصبح المحبوب من رواد محطة الاستحمام وكانت ثرثراته الصبيانية وهذره الاحمق تخفي أحيانا السخرية القارضة وتلهو وهي تنتقل من فم الى فم .

كان موضوع تلميحاته المحبب هو النساء الصغيرات سنا والجميلات . وكان بافلة بصورة خاصة خطرا بالنسبة للخفيفات من بينهن اذ كان يتشمم كل حب بريء ورقيق في بلدة حصاريا مما كان ينبغي أن يبقى سرا . وكان حديثه الساذج والسليم مذيع النمائم والشفاف يضعه في متناول العقول المنتبهة .

وكان بافلة أصلا من بلدة (ث) حيث لم يكن له فيها سوى أم فقيرة بل من أفقر المساكين المعوزين المتروكين لمصيرهم المحزن ، وكان له أخ أيضا قد اختفى في مكان ما .

وبصورة مختصرة كان بافلة الفيرتيج يعيش من الصدقة التي تعطى له لقاء بعض خدماته ولانه كان يلهي ضيوف حيصاريا الزائرين فيحمل طرودهم وأمتعتهم الى الحمامات ويتوجه الى مدينة كارلوفو مشيا على الاقدام لقضاء بعض أغراضهم وكان يستقبل بالترحاب .



ولد ايفان فاسوف في قاسوفغراد - بلغاريا - عام ١٨٥٠ وتوفي في صوفيا عام ١٩٢١ - لقد حفل هذه السنة في بلغاريا العيد ١١٠ لميلاده . وهو من أكبر شعراء بلغاريا وقد أروع في كل ميادين الآداب كالشعر والقصص وذكريات السفر ... الخ .

كل من كان يأتي للمرة الاولى الى ليشامو ويرافقه في طريق العودة بالبركات والتمنيات ..

كان يركض ويصغي ويغني ويقذف الهرر في الهواء

ويقفز قفزات بلهوانية ورأسه الى الاسفل فكانت القروش تمطر في قبعته وغالبا الفرنكات أيضا •

وكان بافلة الفيرتيج قد أصبح معلما في فن تقليد القاطرات في سيرها فكان يصرخ : « فيرتيج » ـ وهي كلمة المانية بمعنى حاضر ومستعد وجاهز للذهاب ـ ويبدأ الركض متمايلا وضاغطا مرفقيه على جسمه ثم يتقدم بتأن وبطء ويسرع رويدا رويدا ويصرخ مكررا « بوه •• بوه •• بوه•••» ليعطي فكرة عن ضجة دواليب القطار في سيرها••وقليلا قليلا كان يبطىء قدمه وتنطفىء الضجة فكأن القطار بلغ هدفه •

ولا تنطلق أية عربة خيل من حصاريا دون أن يكون بافلة حاضرا في آخر لحظة ليقدم قبعته بمثابة تحية السلام وليعطي أمره المعتاد « فيرتيج » الى الامام

ولذلك كان قد سمي « بافلة الفيرتيج » •

وعلى الرغم من الحسنات و (البخاشيش) التي كان يتلقاها من الجمهور ، كان بافلة يرتدي دوما البسة ممزقة ويمشي حافي القدمين ولا يتناول الطعام حسب جوعه • والثياب المشققة التي كان يلبسها ما كانت الا حسنة من أحد المحسنين • وكان بافلة يسكن جوعه من بقايا وجبات طعام الغير ، وكان ينام بالقرب من ليشامو في حجرة حقيرة مصنوعة من الاوتاد وصفائح البترول والقصب وينام في بعض الاحيان في أمام عتبة بعض المحلات التجارية متغطيا بثيابه البالية ـ بدون سبب ودون اكتراث ـ وهو شديد النحول درن ومرتاح البال كفيلسوف وقح •

وكان مما يدعو للدهشة أن يراه الناس مقتصدا الى هذا الحد فالبعض منهم كان يظنه يخيط نقوده في بطانة ثيابه أو يدفنها في الارض ، كل ذلك عن طريق الظن اذ ان الحقيقة أن أحدا لم يكن يعرف أين كان يذهب بافلة بماله •

وكان البعض ينكده دائما بهذا الشأن قائلين له : ايه يافيرتيج •• انك تحتفظ بالمال لخطيبتك •• فاين تخبئه •• اخبرنا •• فيقول لهم : هناك عند الله •• انني أبعث بنقودي اليه تعالى •• نعم ولتحيا مملكة سويسرا « فيرتيج » •

وكانت جميع معلوماته الجغرافية تنحصر بهذا الاسم الوحيد •• اسم سويسرا •• وكان هذا الاسم يجمع بعقله كل شيء جميل وشريف •

ـ هذه هي سويسرية حقا •• ياعمري ما أجملها !!

هكذا كان يهتف معجبا عندما يشاهد فتاة جميلة تعبر طريقها أو امرأة أحمر لونها من المديح الموجه اليها من الفيرتيج نفسه •

ان هذا التقدير نالني أيضا فقد كان ينعتني أيضا بالسويسري كل مرة يشاهدني فيها •• ولكنني كنت مرارا أشعر بحزن غير اختياري في نفسي عندما كنت أصغي الى غباوة حديثه الذي كان يلهينا •

ان هذا الشاب الذي يقارب العشرين الخفيف العقل احتقرته الطبيعة معنويا وهو موضوع سخرية العاطلين عن العمل ، كان بالنسبة الي كلغز حزين لا أقدر أن أفسره وكتوبيخ للبهجة التي سببها البؤس الاعظم الذي يحل في نفس بشرية ، هذه النفس المسكينة والمريضة التي فقدت ميزانيتها في بافلة والمجردة من العقل المتين بدون اشعاع والسابحة بين الغيوم ، كانت هذه النفس قد أصبحت حرة بأن تضحك أو أن تسبب الضحك للغير تخفيفا لشعور الآسف •• هل كان بافلة سعيدا ؟ أم أنه كان تعيسا ؟ وما عدا ميله العميق الى المداعبة والهزل والمزح وتظاهراته المذلة في بخل دنيء وأحيانا بهيمي هل كان يوجد في طيات هذه النفس شعور أرفع وأسمى وأكثر انسانية ؟

وهل كان يتألم من جراء حالته هذه التي كان ولا شك يقدرها على حقيقتها ؟

ولكنه كان دائما بشوشا فرحانا وعلى أهبة الاستعداد للتهريج والتكلم بغباوة ليبعث الضحك ويحرك القهقهة بين الناس ويستجاب الحسنة والزكاة والبخشيش • التي كان لا يستفيد منها • ثم حدث أمرا أضاء هذه النفس الغريبة ورفع بنفوذ بافلة الفيرتيج عاليا في نظري •

كنت ذات يـوم أدخن في مقهى موجها أنظاري الى الاسوارالعالية القديمة التي كانت تعكس في السماء نطاق ذروتها التي كان الزمان قد قرضها واذا ببافلة واقفا أمامي باسما بملء شفتيه متلفتا الى كل الجهات •

فقلت لـه ـ على من تفتش يابافلـة ؟ فأجابني قائـلا عليك •• ولـكنني ارقب هل هنـاك شخص آخـر ••

قلت ولمـاذا ؟ فقـال ـ هل لا يوجـد رأس معتوه وأحمق ؟ فأجبته ضاحكا :

•• لا يوجد هنا غير سويسريين أنت وأنا •

ثم فتش بافلة في جيبة صدريته العتيقة ولمزقة وقـال لي : أنت تحسن الكتابة بالافرنسية •• اليس كذلك ؟• وأخرج غلافا بلون أزرق لم يكتب عليه شيء فقلت له :

ـ ما هذه الرسالة ؟

ـ انها لمملكة سويسرا••وقفز قفزة بهلوانيةوسلمني المظروف قائلا :

ـ أكتب هنا بالافرنسية اسم شقيقي •

ـ حسنا ولكن لمن توجه الرسالة ؟

ـ الى مملكة سويسرا •• وقد كتب ضمنها العم ماتيو ولـكنه لا يعرف الفرنسية ولا يحسن كتابتهـا خـارج الرسالة •• ماذا تريد ؟ •• انه خشن وفظ ••

فاجبته بدهشة ـ اذن شقيقك في سويسرا ؟ وكنت قد فهمت السبب الذي يجعل لسويسرا مكـان الشرف والمقام الرفيع في دماغ بافلة المسكين والمريض • فقلت :

ـ وفي أي بلد ؟ •

ـ في فريبورغ•فلبيت طلبه وكتبتالعنوانبالافرنسية متعجبا كيف أمكن لبافلة أن يحفظ هذا الاسم وينطقه صحيحا • ثم أنه شكرني وقال :

ـ عافاك الله ياسويسري •• فقلت :

ـ وماذا يفعل شقيقك هناك ؟ •

ـ انه طالب في المدرسة • فقلت :

ـ وماذا يدرس ؟ فأجاب :

ـ انه يدرس ليصبح طبيبا • فقلت :

ـ حسنا •• حسنا • ثم قال :

ـ ولكنه في هذا العام سوف ينتهي من دروسه ويأتي الى هنا ليطبب الناس ويداوي المريض • وخطف بافلة الرسالة مني وأسرع بالفرار ذاهبا • فناديته :

ـ مهلا يابافلة •• أين تسرع أنت ؟ فأشار الى المطعم أمامنا حيث كان جمهور من الرجال والنساء يجلسن في الظل • وقال لي :

ـ انني ذاهب الى هناك لاقود القطار الى بلوفديف•• هيا • وفي وجهه المليء ببقعات حمراء كانت الابتسامة تضيء عينيه الممتلئتين من نور الصبر والسرور • فقلت لـه :

ـ وماذا كتبت لاخيك ؟ قال :

ـ أشياء كثيرة ولكنها لا تكفي • وسألته :

ـ من يعول شقيقك ؟ فقال :

ـ آه •• ماذا ؟ فقلت :

ـ أيملك شقيقك المال ؟ أجاب قائلا :

ـ من ؟ هو ؟ •• ليس لديه ولا فلس •!! فقلت :

ـ هل يتقاضى منحة ؟ فقال :

ـ مـاذا ؟ •• فقلت :

ـ هل أن المملكة ترسل له النقود ؟ ••

ـ ياللالهة ••

ـ ماذا ؟ •• الله ؟

ـ ليس الله •• ولكن هذا الراس الاحمق •• أنـا •• فنظرت اليه موبخا حائرا وقلت :

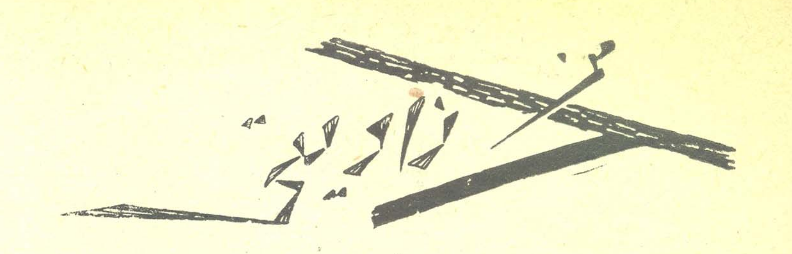
ـ لماذا تتظـاهر بالحمق يابافلة ولا ترد على السؤال كما يجب ؟ فأجابني :

ـ انصت لما أقول • وبدأ يصرخ : فيرتيج •• فيرتيج •• فيرتيج •• بوه •• بوه •• بوه ولاذ بالفرار مسرعا نحو الجمهور المتجمع •

وفي المساء صادفت البقال ماتيو نسيب بافلة ، وأردت أن أتأكد منه ما فهمت من تلميحات بافلة المبهمة ، ولم يكن لماتيو أية رغبة في الحديث ولكنه صرح لي أخيرا بقوله :

ـ ان بافلة أوصاني أن لا أبوح بسره الى أحد ، لكي

البقية على الصفحة ٥٤



رسالة

بقلم خالدة عبد الله

الى من عبدته كاله وأحبني كعشيقة ..

لا لن أكون عشيقتك لاني لا أصلح لدور العشيقة مع اني عشته سنوات وسنوات ، عشته دون علمي ..

لكنك في الامس عرفتني على صميمية صحبتنا وعلى تلك اللقاءات المحمومة التي تسكرني وتجعلني أترنح.. كلمتك الدافئة ، وأنفاسك اللاهبة ، ويدك القوية ، روحك التي ترافقني ، نظراتك الحانية تغرقني كل هذا كنت أحياه بعمق وعنف ، والف حلم يغلف الرأس المتعب والقلب العربيد .. فاردد سكري : ما أسعدني بحب انساني وعبادتي له ، انساني الذي يفهمني أكثر من نفسي ، يفهم ما أخفيه عن ناظري .. يشركني عالمه قريبة كنت أم بعيدة .. فانا معه في صحرائه المحرقة ووحدته القاسية ، والى جانبه وسط الزحام والرفاق والضجة ، يعود الى اينما كان ، يعود والحب رفيقه فينثر عواطفه الدفينة وقلقه وسعادته وشقاءه بين يدي فألملمها بدمعي وأهدابي ، وأطبق عليها جوانح تشتاقه وقلبا ما عرف غير عبادته ورقبته وأعطيها الف معنى ومعنى ..

وتمضي السنوات ونشوتنا تأخذ ألوانا وألوانا وكلها مشرق مثير ، وحبنا يعمق أكثر فأكثر فأصبح دنياه ويغدو عالمي .. والكون من حولنا يؤكد صدق حبنا واستمراره مدى الحياة . وكيف لا وأنا أرقبك عمري وأنت تعيش على حبي .. وكنت أردد .. سألتفت يوما أيها الحبيب فأجدك بدربي والى جانبي حتى ولو كنت في الخمسين من عمري فيهمس بقلبي ان حياتي الحقة ياغاليتي عندما أكون الى جانبك وما تبقى عبث وعدم .. اني لا أعيش الا معك وقربك وانه لا يمكن لاية فتاة في العالم أن تجعل هدبي يرف بخلجة ناعمة .. حياتي هنا بين يديك .. فاغرق رأسي في صدره وأرتجف نشوى..انه دنياي.. انه وجودي الحقيقي انه أخي وصديقي وحبيبي..وكنا نفكر..قد نفترق لزمن بعيد أو قريب ، قد يسير بدرب غير دربي وقد انهج دربا لا يرضيه ولكنه مع ذلك سيظل ملجأي الامين أهرع اليه فاجده صادقا محبا واني في أي وضع كنت وفي أي درب شردت ساسرع اليه اما دعاني أو همس باسمي او شعرت بحاجته الي ..

انك معنى كبير الحياتي أيها الحبيب وصورة رائعة يضمها قلبي بحنان ويقبض عليها بقوة وهذه الصورة تطبع حياتي وهذا المعنى يرضي جموحي ويرفعني عمن حولي .. كنت أحيانا أشعر بالضيق والقلق وتتقاذفني حمم الشك والحيرة وتعصف بقلبي شتى الانفعالات وأدور بكل الاتجاهات لاجد نفسي في نهاية كل درب معك والى جانبك فالقي برأسي المتعب على صدرك العريض وانعم بالدفء والاستقرار وأعود انسانة ثانية .. كذلك أنت تجدني درعك الامين تجاه كل الانواء والواحة الظليلة وسط الصحراء .. تسرع الي باستمرار وتلقي متاعبك وتمزقك وترجع الى دنياك خفيفا مرحا ..

والآن فقدتك دون مقدمات ، فقدتك والى الابد .. لم يكن وهما هوانا .. ولم يكن وهما حبي ، عبدتك كاله وركعت الساعات الطوال في محراب حبي .. ولم يكن هذا وهما وسرابا .. فانت الهي واله حياتي ، أنت من عبدته عمري ولم يكن هذا وهما .. ولكن أبعد من الوهم ان أفقدك.. أفقدك وأنت في بيتي والى جانبي .. أفقدك وأنت معي..

شقاء أن نفقد من نحبهم ونعبدهم .. نفقدهم في لحظة عابرة في جزء من الثانية ..

مات حبيبي ولكن حبي باق ـ مات من علمني معنى الحب والحياة ، مات وماتت معه بسمته الرائعة ونظرته الحانية ويده القوية مات وتركني مع حبي وساعاتي الدافئة ورعشتي العلوية ..

مات دون أن أذرف عليه دمعة..مات وكلمته الشوهاء جامدة على شفتيه الباردتين ـ العشيقة لا تطلب ولدا لا لست عشيقتك وان عشت معك عشيقة دون علمي ..

من يدري قد أصبح عشيقة أكثر من انسان بعد ان عرفت بحرقة من أنت ومن أنا .. بعد ان تهدم معبدي ونسيت صلاتي ، وفقدت الهي .. وعندها أكون عشيقة بارادتي وعلمي ..

خالدة عبد الله

التبادلات التجاريه بين الجمهورية الشعبية البلغارية

وبلاد الشرق الادنى والاوسط

تعود العلاقات بين بلغاريا وبلادالشرق الادنى والاوسط الى بداية القرن التاسع عشر حيث كانت معظم هذه البلاد تشكل جزءا من الامبراطورية العثمانية التي كانت تؤلف سوقا داخليا مشتركا بالنسبة اليهم كانوا يتبادلون في نطاقه منتوجاتهم بنشاط . وقد امتدت هذه العلاقات لما بعد الحرب العالمية الاولى عندما تحررت البلاد العربية من النير العثماني ولكن على أثر اهمال الاقتصاد كانت قيم التبادل التجاري بين هذه البلاد من أبسط ما تكون ففي عام ١٩٣٩ كان مجموع ثمن التبادلات التجارية بين بلغاريا ومجمل بلادالشرق الادنى والاوسط ٢ر٤٠٠ر٠٠٠ دولارا منها ١ر٧٠٠ر٠٠٠ دولار للتصدير و ٧٠٠ر٠٠٠ دولار للاستيراد وكانت مصر تختص بالقسم الاكبر من هذه التجارة مع بلغاريا بمبلغ ١ر٦٠٠ر٠٠٠ دولار .

وقد وضعت شروط أنسب لهذا التبادل التجاري بعد الحرب العالمية الثانية فتحررت بلغاريا من السيطرة الامبراطورية وبدأت النمو في اقتصادها بصورة سريعة وخلال فترة خمس سنوات تحولت بلغاريا من بلد زراعي متخلف الى بلد صناعي متقدم كما وحدثت تحولات في عدد كبير من البلاد العربية في الشرق الادنى التي نزح الاستعمار والسيطرة الاستعمارية عنها فبدأت باتخاذ وتطبيق الاجراءات اللازمة لانماء اقتصادها القومي ـ والجمهورية الشعبية البلغارية نظرت الى جهود بلادالشرق الادنى هذه بعطف صادق وعميق فقدمت لها حسب طاقتها دعما سياسيا وتجاريا في جميع النواحي وهذه الاحداث والعلاقات التقليدية والمقربة الجغرافية وامكانيات التصدير المتزايدة للصناعة البلغارية ساهمت في الانماء السريع للتجارة بين بلغاريا وبلاد الشرق الادنى .

ومن أهم التبادل التجاري هو الجاري بين بلغاريا والجمهورية العربية المتحدة والذي بلغ ٩ر١٠٠ر٠٠٠ دولار في عام ١٩٥٩ أي ٢ر٦١ في المئة من أصل مجموع تبادلات بلغاريا مع كافة بلدان الشرق الادنى والاوسط بلغت الصادرات منها ٤ر٤٠٠ر٠٠٠ دولار والاستيراد



الجناح البلغاري في معرض دمشق الدولي

٤٫٧٠٠٫٠٠٠ دولار وبلغ التبادل التجاري مع مصر ٦٫٩٠٠٫٠٠٠دولار منها ٤٠٠٫٠٠٠ دولار قيمة ما صدرته بلغاريا الى مصر و ٣٫٥٠٠٫٠٠٠ دولار ما استوردته بلغاريا من مصر .

وكان مجموع التبادل التجاري بين بلغاريا وسورية قد بلغ ٢٫٢٠٠٫٠٠٠ دولار منها ١٫٠٠٠٫٠٠٠ للتصدير البلغاري و ١٫٢٠٠٫٠٠٠ دولار لاستيراد بلغاريا من سورية .

وقد بدأت العلاقات التجارية بين بلغاريا والعراق من تاريخ انتصار الثورة العراقية وقد ارتفع مجموع التجارة الخارجية بين البلدين من ١٠٠٫٠٠٠ دولار في عام ١٩٥٨ الى ١٫٣٠٠٫٠٠٠ دولار في عام ١٩٥٩ .

أما التبادل التجاري مع لبنان فهو أكثر أهمية اذا بلغ نحو ١٫٣٠٠٫٠٠٠ دولار في عام ١٩٥٩ منها ١٫٢٠٠٫٠٠٠ دولار للتصدير البلغاري و ١٠٠٫٠٠٠ للاستيراد لبلغاريا من لبنان وحصة لبنان من مجموع التبادل التجاري لبلغاريا مع بلدان هذه المنطقة ٩ ٪ .

ان تجارة بلغاريا مع بقية بلدان الشرقين الادنى والاوسط هي أقل أهمية ولكنها ذات امكانيات عظمى في النمو وفي السنين الاخيرة لم تصدر بلغاريا نحو هذه البلدان غير ما قيمته ٣٣٨٫٠٠٠ دولار عام ١٩٥٩ الى ايران و ٢٩٤٫٠٠٠ دولار الى الاردن و ٥٩٫٠٠٠ دولار الى المملكة العربية السعودية و ١٥٫٠٠٠ دولار الى اليمن ومثلها الى الكويت .

وتصادف الآلات والادوات البلغارية استقبالا حسنا جدا في بلدان الشرق الادنى حيث تنافس بنجاح آلات وأدوات البلاد الغربية الاكثر تقدما وفي هذه البلدان وخاصة الجمهورية العربية المتحدة وفي العراق تصرفت آلات وأدوات بلغاريا بمبلغ ٦٧٨٫٠٠٠ دولار منها ٥٢٦٫٠٠٠ دولار لانشاءات صناعية كاملة ولمخارط ومحركات كهربائية ومواد كهربائية فنية مختلفة وغيرها بمبلغ ١٥٢٫٠٠٠ دولا وتجري الآن محادثات مع المؤسسات الحكومية والمحلات التجارية في بلدان هذه المنطقة لزيادة تصدير المواد المذكورة ولانواع أخرى من الآلات البلغارية الحديثة والمستحسنة والتي كانت قد عرضت بنجاح نماذج عنها أثناء افتتاح المعرض الدولي الاخير في دمشق .

ومن بين هذه الآلات تجدر الاشارة الى الطراز الحديث للمخارط والمثاقب والمبارد والملازم والمحركات الكهربائية ومحركات ديزل وأجهزة الضخ والرافعات والاجهزة التلفونية الاوتوماتيكية ولوازمها وعربات السكك الحديدية وتجهيزاتها وأجهزة وتجهيزات مختلف الفروع الصناعية وما شابه ذلك .

وهناك امكانيات لتصدير هذه الآلات ليس فقط الى الجمهورية العربية المتحدة ولكن الى لبنان وايران وخلافها أيضا .

وفي السنوات الاخيرة اشتركت بلغاريا بنجاح في انشاء المشاريع الصناعية وغيرها في البعض من هذه البلدان ، وفي الوقت الحاضر مثلا يجري بناء السد الكبير التخزيني في الرستن في سورية بموجب تصميم المهندسين البلغاريين وبواسطة الفرق من الاختصاصيين البلغاريين كما وانه قد جرى انشاء آبار لتخزين الحبوب وأبنية عامة ودور سكن حديثة وانشاءات صناعية وما أشبه ذلك وبالاشتراك مع الاتحاد السوفييتي سوف تعمل بلغاريا على مشاريع للمعامل وستورد الانشاءات وتقدم المعونة الفنية لبناء مصنع لانتاج كربور الكلسيوم . ولبناء معمل لانتاج سيليكات الحديد ولبناء مركز لتجفيف البصل في مصر ، وتجري الآن المحادثات لبناء عدد من المحطات الفرعية في دلتا النيل .

ان الخبرة الفنية والصفات العالمية والاختصاصيين والمهندسين والفنيين البلغاريين كما وان النوع الجيد للآلات البلغارية قد أصبحت مؤيدة بالبرهان وهي تؤمن الوسائل اللازمة لنمو التعاون في هذا المضمار .

وتورد بلغاريا بالاضافة الى الآلات والتجهيزات الى زبائنها في الشرقين الادنى والاوسط كميات هامة من انتاج مصانعها لصب الحديد والفولاذ كالمصنوعات من الاسمنت المسلح وأنابيب بيرجمان ، الخ ..

وتشكل المواد الكيماوية قسما كبيرا من تصدير بلغاريا نحو بلدان هذه المنطقة فقد عملت بلغاريا على بناء مصنع كبير للصناعة الكيماوية الذي يورد منتوجاته من النوع الحسن الى جميع بلدان أوربا الغربية وأمريكا تقريبا وكذلك آسيا وافريقية .

وتصدر بلغاريا الى بلدان الشرقين الادنى والاوسط كميات هامة من الالبان والتبغ والجبن القشقوان والجبن الابيض خاصة الى لبنان ومصر والعربية السعودية والكويت وسورية ، وأيضا رب البندورة المشهور في العالم كله بنوعه وكميات فيتاميناته ، والسكر والسكاكر والمعكرونة كما وأنها تصدر كميات كبيرة من الانتراسيت والخزف الصيني المغسول والثقاب وخيوط الخياطة والسجاد من الطراز العجمي والفاصولياء البيضاء وبضائع أخرى كثيرة .

ورغبة منها في تشجيع التجارة مع بلدان الشرقين الادنى والاوسط فان بلغاريا مستعدة بأن تشتري كميات كبيرة من بضائع هذه البلدان على أسس المعاملة بالمثل ولهذا الغرض فانه من الضروري تعزيز العلاقات بين الاوساط التجارية لهذه البلدان والمؤسسات التجارية الخارجية البلغارية بتبادل الزيارات بينهما وبأية وسيلة أخرى وفي هذا النطاق تظهر منفعة خاصة للاشتراك المتبادل في المعارض التي تنظمها البعض من هذه البلدان فان الجمهورية الشعبية البلغارية تشترك بصورة منظمة في كل عام بالمعرض الدولي في دمشق ولهذا الامر يعود بدرجة عالية النجاح في نمو التبادلات التجارية بين البلدين .

برلين بين الشرق والغرب

وأمضيت بضعة أيام متنقلا بين فرانكفورت وهامبورغ وبون وكولن . بضعة أيام لم تفارق الدهشة فيها كل جارحة من جوارحي . بضعة أيام وآمنت بعدها أن الشعوب المؤمنة بحقها في الحياة والتي تريد الحياة ، لن يعترض سبيلها ما يمنع عنها تحقيق ما تريد .

لقد كانت فترة مديدة قلما مرت منها ساعة لم يكن فيها شيء جديد . لم تكن معالم الحضارة واعادة بناء هذه المدن بمعاملها ومشافيها وأسواقها وأبنيتها مما يثير وحده الدهشة والتقدير فحسب فقد كان أروع من كل هذا تلك الوجوه التي تشع بالحركة وحب العمل وترتسم عليها ابتسامات تخفي وراءها صدق العزيمة وجلال النفوس ، فكأنها لم تعرف البؤس في حياتها ولم تذق مرارة الجوع وما مرت بساعة من ساعات الخوف الشديد . هذه الوجوه المشرقة ذاتها ليس غريبا عليها بعد ذلك أن تجعل من بلادها جنة وارفة الظلال كأنها لم تذق قصف القنابل وويلات الحروب .

ويأبى الفن الا أن يمد عنقه في أمة كانت وما زالت منبعا للفن وموئلا ، ومرضعة أكابر رجاله والعاملين به . فلم ينسها اهتمامها بمظاهر العمران ومعالم المدنية ما يعيد الى النفوس صفاءها فقامت لذلك أعظم دور للموسيقى عرفها العالم حتى اليوم ولم تكن معاهد التمثيل والرسم والنحت أقل منها شأنا وأبخس قدرا .

وبعد أمسية ناعمة من أمسيات (بون) حافلة بكل ما يثلج الصدر وترتاح اليه العين يميل الي المرافق الشاب ليقول بلطفه المترف : غدا ستبلغ ما تشوقت اليه كثيرا طيلة اقامتك في هذه الربوع . غدا نحن في برلين غربيها وشرقيها . ولا أنكر أني أمضيت ليلتي مترقبا أتشوق مطلع الفجر . وأقلعت بنا الطائرة لتقطع سويعات وجدتها أطول من دهر حتى لاحت معالم برلين ، وهبطت الطائرة لانطلق منها الى الشوارع متناسيا كل وعد مشغولا عن كل ماكان مقررا من برامج لهذه الزيارة ، ويأبى مرافقي الشاب الا اللحاق بي وكأن به من الشوق ما بي وأكثر .

لم أجد في برلين ما يختلف عن هامبورغ وكولن ، فالمعالم واحدة والوجوه لم تتغير ، ولم أجد أثرا لكارثة حرب ، ذلك لان الشعب المبدع يأبى أن يعيش بين الاطلال أو يحبو بين الخرائب ودارسات البيوت ، فعمل جاهدا حتى أعاد برلين كما أراد لها أن تكون ، وأعاد لها روعتها في سنوات بعد عز تليد مضى وانقضى ، وأطاحت به ساعة من ساعات حمى البشرية .

وفي اليوم الثاني كان موعد زيارتنا لبرلين الشرقية . وهناك حيث العز الزائل وحيث تتجلى المآسي وجدتني أقف وقفة الذاهل أمام أنقاض الرايخستاغ والقصور التي خيم عليها البؤس فسمعت أنين التاريخ في كل شحفة حجر ملقاة ورأيت دموع الدهر تنسال على كل عمود مكسور ، ورأيت ساحة العرض فتصورت مهامز الجنود الالمان يوم كان يرن صداها في قلوب العالم واذا بها اليوم مسرح لكل هزيل ، خالية خاوية . عندها كفرت بأدعياء السلم وسلمهم وبكيت للشامخات ينعب فيها البوم وللظلال الوارفة يتفيأها الغربان . وللدوح يقفر من بلابله ليكون مأوى للبغاث العجاف .

وخرجت بعدها حسير الطرف لاقف على مأساة أخرى . وقفت في برج حديث وأشار المرافق بأصبعه الى تلال ثلاث ليقول : أتدري ما هذه ياصديقي ؟ انها أنقاض برلين . وارتسمت على جفنيه دمعة رأيت فيها أصدق الحب ، حب الثاكل لولدها الراحل . أما أنا فلم أر في هذه التلال ركاما بل آثاما . وتركنا المشهد المحزن الكئيب صامتين ، وطال صمتنا حتى حل عقدته مرافقي سائلا : أخي ماذا تتمنى لبرلين ؟ وانفرجت شفتاي عن كلمتين : أريدها .. برلين .. لا شرقية ولا غربية

أبو عاصم

مع خالده عبد الله

منذ مدة أثار انتباهنا قصص صغيرة تنشر في بعض الصحف الدمشقية مذيلة بتوقيع خالدة عبد الله . من القراء من يدعي أنه توقيع مستعار . منهم من يزعم أنه تعرف الى شخصية الكاتبة الحقيقية . منهم من أكد أن صاحبة التوقيع رجل أراد أن يخفي شخصيته . زعم البعض أنها فتاة غير جميلة ولذلك تريد أن تبتعد عن الاضواء .

وبعد محاولات متعددة توصلنا لاكتشاف الكاتبة .

أرادت أكثر من مرة أن تتهرب ولكنها وقعت في الفخ الصحفي ولم تستطع أن تتخلص من السين والجيم .

س : من أنت ؟

ج : أتريد أن تعرفني كأنثى أم كأديبة ؟

س : كأنثى وكأديبة ..

ج : أنا لا أهمك كأنثى ولا يمكن أن أهمك . ومع ذلك أقول لك اني عربية من دمشق عشت للقلم أناجيه واللحن أغرق فيه .. أحب من حولي وأجد نفسي مسؤولة عنهم ولكم أرهقت كاهلي هذه المسؤولية وعملت لذلك جاهدة حتى شعرت أني أصبحت بالمستوى اللائق بها .. أنا فتاة قضيت عمري أكتب حتى يمل القلم وأقرأ حتى يمل الكتاب .

س : نريد أن نعرف شيئا عن حياتك .

ج : حياتي لحن وكلمة .. فتحت عيني على الغربة تملأ روحي والوحدة تغمرني .. لجأت الى اللحن وأوراقي وكتبي أقضي معها الساعات الطوال وأبثها ما بي وأحلق معها وأنتقل من حلم الى آخر وأغرق في اللحن حتى ينتشي الليل .

س : لماذا تريدين ألا يعرفك الآخرون .. أزاهدة أنت بالدنيا ؟..

ج : دعني أضحك قليلا .. كلا وألف كلا ، أنا لست زاهدة بالدنيا ولا الحياة ولا الشهرة ولكن أريد أن يعرفني الناس أديبة .. أن يحكموا على أدبي لا على حياتي ..

س : ما رأيك بالرجل ؟

ج : سؤال محرج، الرجل بالنسبة للمرأة هو طريقها لمعرفة الله .. لم نسمع أن امرأة في التاريخ بحثت عما وراء الطبيعة .. ولماذا تبحث طالما رجلها قريب منها يبدع لتعجب به ويقتحم الصعاب من أجلها .. الرجل معبد الانثى .. خدمته صلاتها ، طاعته خشوعها ، وقربه غاية مناها .

س : ما هو الحب بالنسبة اليك ؟

ج : انه نبع الفنون والابداع وطريق الوصول الى المطلق .

لا تسلني ما أريد من الحب .. أريد ذلك الحب المسيطر الذي أرى الحياة من خلاله وذاك الرجل يشدني من شعري ويغرقني بنظراته اللاهبة فلا يدعني أرى بعيني أو أسمع بأذني وانما أتحول الى صدى ! ينظر فأرى ، ينصت فأسمع ، يطلب فألبي ، يأمر فأسرع ..

س : ما رأيك في الضياع ؟

ج : كبرت ، كبرت بقلبي وحبي وأفكاري .. وعشت الضياع والحرمان والتحرق واللهفة والانتظار والفراق وضاقت الدنيا بي وضقت بها .. وقفت في كل منعطف ورنوت الى كل طيف وهفوت الى كل همسة ودرت في كل اتجاه وسخرت من كل سؤال وسأبقى هكذا موزعة تتقاذفني الامواج وتتخبط بقلبي الاعاصير وتهزني الانواء الى أن ألتقي بذلك الانسان الذي قد أجده وقد لا أجده . لم يستطع حتى الاخلاص أن يأخذ بيدي ووقف اللحن

حائرا من ضياعي ودرت ودرت .. وتعبت من التجوال والسير الطويل والدروب الوعرة .. تعبت ولكن سأستمر في سيري وضياعي وقد أنتهي وقد لا أنتهي .. اني أدور وسأستمر في دوراني .

س : هل كتبت قصصا طويلة ؟

ج : كتبت قصة « رحلة الضياع » في العام الماضي وحملتها الكثير عن المجتمع الدمشقي قصة فتاة من دمشق من أسرة عربية.. كنت أود أن أدفعها للنشر ولكن انسانا عزيزا علي رأى أن أنشر قصة غيرها جديدة عاش ميلادها وزحفها ونضجها فطلب مني أن أقدمها على رحلة الضياع وسبقت نظرتي شفتي في الموافقة .

س : ما رأيك بالادب بوجه عام ؟

ج : قرأت الكثير ومن الصعب علي أن أحكم ! أي كاتب أو كتاب أفضل .. هناك كتب أثرت بي وبعض الكتاب عشقت ما كتبوا أمثال : زفايج دوستيفسكي ، ارنست همغوي ، بودلير ، سارتر ، كامو ، الجاحظ ، الشريف الرضي والمتصوفة ، البروتومورافيا .. لوركا ، طاغور ، جيد ، برغسون فرويد الخ ..

س : ما رأيك في الادب النسوي ؟

ج : قرأت معظم ما كتبته المرأة على مر التاريخ ، قرأت الاخوات برونتي ، فيكي بوم ، مدام دوستال ، بيرك بان ، فدوى طوقان ، سيمون دوبوفوار الخ .. وتتبعت بشكل خاص رابعة العدوية .

أثر بي فتاة روما ، هيلين دنياي المتعددة ، الباب الضيق، البيت والعالم وقبل كل هؤلاء أعود فأقول رابعة العدوية .

س : أي الالحان تحبين ؟

أحب تشايكوفسكي .

أحب الكونشرتو فيولون ، افتتاحية ١٨١٢ والباتيتيك . أعيش ألحان بيتهوفن وكورساكوف وشوبان .

ج : أحب اللحن العنيف الثائر والهادىء المتموج .. تعجبني أسطورة كارمن وشهرزاد ، أعيش اللحن يلف كياني .

س : هل ستنجحين ؟

ج: سأنجح حتما لانني نظرت الى نفسي من ذروة عالية وعملت على هذا الاساس ولو ارتضيت الانتاج الصغير لكان لي مجموعة من كتب منذ سنوات ..

بقي أن يعرف القراء أن الكاتبة ليست قبيحة .

انها صورة رائعة من صور الجمال الدمشقي ..

تتمة ما نشر على الصفحة ٤٨

يجنب أخاه الخجل . ولكنني أقول لك أن بافلة يعيل شقيقه عن طريق الشحاذة كما تراه .. اذ كان في البدء لاخيه بعض المال وعندما أنفقه تماما صمم النية على ترك الدراسة .. فعندما علم بافلة بذلك قال :

– ليس من صالح أخي ترك الدراسة وعليه أن يكملها. ولهذا السبب لا ينفق بافلة بارة ولـكنه يرسل مـا يجمعه من المال الى هناك ، فهو يكد من الصباح الباكر الى المساء ليجعل من أخيه رجلا مثقفا . فهذا هو الحب الاخوي ياسيدي .. انه أحمق ولكنه في جنونه أفضل من الكثيرين من العقلاء .

وكان الضحك المتواصل والضجيج الصادر عن المقهى القريب قد غطى على حديث ماتيو لان بافلة الفيرتيج كان يقفز هناك القفزات السريعة والبهلوانية وأضعا يديه على الارض ورافعا رجعليه في الهواء .

وجوه جديدة

ناجي

ابتسام حموي

انها فتاة من بلادي .. داست الخطوة الاولى من عتبة باب ربيع العمر .. ولكن مع هذا ففي مخيلتها يحيا ربيع وصيف معا ، الربيع الشاب .. والصيف الناضج .

انها لم تزل طالبة في الثانوي ولكنك تشعر وأنت تقرأ شعرها أنك أمام شاعرة ناضجة .

تعشق الصورة في الشعر .. ولهذا فهي تكثر منها ... وتشعر وراء الحروف في قصائدها لوحات مرسومة بيد فنان بارع ... وبألوان جميلة ساحرة تلك الصور الطبيعية الرائعة .. التي استوحتها وتستوحيها من طبيعة بلادنا الساحرة مازجة اياها بصورة حسية ، فهي تقول في قصيدتها أختاه :

أختاه يا نبع الصفاء
يا لفتة من كبرياء
يا جدولا موجاته أبدا رجاء
يمضي معي منذ الطفولة
فاذا ظمئت أمدني
بالماء والقصص الجميلة
والمشاوير الطويلة
أختاه يا أحلى صديقه
أحتسي من روحها
الاحلام والدرر العميقه

وتقول في قصيدة « أنا وأنت » :

وسرقنا من الربيع دماه
وحملناه وردة في يدينا
ومشينا معا زمانا سحيقا
والهوى حولنا يسير الهوينا
والكناري ترى غناه فينا
وجناحاه يدرزان علينا
وكشال على مدى كتفينا



وغير ذلك من قصائد كثيرة لا مجال لذكرها أو ذكر بعضها هنا كلها تبين على أن وراء أحرفها .. تكمن موهبة جديدة من مواهب هذا الاقليم .. موهبة سيكون لها في يوم من الايام شأن والايام بيننا .

وسألتها :

س : متى بدأت بالكتابة ونظم الشعر ؟

ج : من السنين الاولى اعدادية حيث كنت أحب مادة الانشاء العربي جدا .

س : من يعجبك من الشعراء ؟

ج : من القدماء أبو العلاء المعري والخنساء والمتنبي . ومن الحديثين ايليا ابو ماضي ونزار قباني ومحمد الحريري .

س : ما رأيك في كتاب الاديبة كوليت خوري أيام معه ؟

ج : لم أقرأه .

س : ما رأيك في مجلة الثقافة .. رغم أنها المجلة الادبية الوحيدة في اقليمنا فاني أراها أحسن مجلة أدبية في العالم العربي لانها تخدم الادب بتجرد واخلاص .. وأشبهها بواحة رائعة في صحراء لا متناهية الاطراف يرتوي

كتب وقراء

— مذكرات فتاة رصينة —

مذكرات فتاة عاشت للحب ، للفكر ، للقلم ، فتاة عرفت من هي ، فولجت لذلك الدروب الوعرة والمسالك الشاقة ، « انها ليست كالآخرين » ولن تكون مثلهم •• انها متميزة •• (كنت أقول أحيانا بفخر اني فتاة حرة أخرى •• وأرى مفارقاتي علامة التفوق التي سيعترف بها الناس جميعا ذات يوم •• اني لست كالآخرين) •• لذلك تريد أن تدهش من تعرفهم وتحبهم بتفوقها •• (اتحرق شوقا لان أقول شيئا ذكيا) •• والتصقت منذ صغرها بالطبيعة وعبدتها وغرقت في الكتاب تعب منه المعرفة بنهم وجنون ، وانحصر عالم طفولتها في العشب الاخضر والكتاب وايمان مدهش بالله (وكنت أقضي معظم وقتي هناك في القراءة وكانت أجمل أوقاتي أن أنهض باكرا في الصباح ففاجىء البراري تستيقظ بعد أن أغادر البيت النائم والكتاب في يدي ولما كان يستحيل علي أن أجلس فوق العشب المندي فقد كنت أسير في الشارع وأنا أقرأ ، فأحس رطوبة الهواء على جلدي وأشعر بطبقة الجليد تحت قدمي ، وأرى الارز يلتمع باشراق يشبه اشراق أول صباح في الجنة ، لقد كنت وحدي أحمل جمال العالم تمجيدا لله •• وحين يبدأ النحل في الطنين وتنفتح المصاريع الزرقاء على عطر العشب الندي ، أكون قد شاطرت ذلك النهار الذي يهل على الآخرين ماضيا طويلا ذا اسرار •• كنت أثر الوحدة ولا سيما في الليل •• لقد كان يخيل الي أن الارض تصدى بهذا الصوت الذي ما يفتأ ، يهمس لي انني هنا •• فيرتعش قلبي بحرارة الجنة اذ أنظر الى النجوم هناك في الاعالي ، وقد كان هذا العيد في دمي بعيد ان لامسني النسيم وأسكرتني العطور يمنحني الخلود •• لقد كان الايمان حارسا لي من النار كنت تقية جدا ، كنت أعترف مرتين في الشهر للاب مرتان وأتناول القربان ثلاث مرات في الاسبوع وأقرأ كل صباح فصلا من الاقتداء••وكنت بين الدروس أتسلل الى كنيسة المعهد وأصلي طويلا وأرتفع بروحي الى الله •• لم يكن نظر الله يتركني لحظة ، وكان الجميع مبعدين عن لقائنا ، كنت أمحوهم في العالم وأشعر أني ضرورة لحمده •• وأن وجودي ذو ثمن لا يحد •• وكنت كل سنة أختار يوما أعتزل فيه العالم لاستمع الى توجيهات أحد الواعظين وأتامل وأزور الكنائس ••)

لكن الطفلة الجامحة الذكية التي تريد أن تعرف وتغرق في العبادة والطبيعة والحب المعرفة سرعان ما تبدلت • بدلها رجال الدين المزيفون فارتدت خائبة يقتلها الشك وانقطعت أواصر الصلة بينها وبين الدين وأخفت

منها الظامئون الى الادب ويفجر جمالها أناسا جديرون بالاعجاب والاحترام •

س : ما هو أجمل الشعر عندك ؟

ج : الشعر الذي تكون موسيقاه كاملة والذي يزدحم بالصور لان الشعر باعتقادي بلا صور كنبتة من ورد ليس عليها سوى الورق •

س : ما رأيك في الشعر الحديث ؟

ج : له أربابه ومحبوه • ولكنه لا يصل الى درجة الشعر الموزون المقفى في روعته •

وأعتقد أنه كان سببا في زيادة عدد الشعراء •• وكمية الشعر ••

ذلك عن الجميع . أخذت تتأمل وتفكر لتقول.. (كانت الطبيعة تحدثني عن الله ولكنه كان يبدو لي دون شك غريبا على العالم الذي يضطرب فيه البشر ، فكما أن البابا في داخل الفاتيكان ليس له أن يهتم بما يجري في الدنيا فان الله في لا نهاية السماء لا ينبغي له أن يهتم بتفاصيل المغامرات الارضية .. وكنت أصلي وأتأمل وأحاول أن ينفعل قلبي بحضور الله ، ولكن في الواقع بينما كنت أرتفع فكريا الى المعرفة يوما بعد يوم لم أكن أشعر بأني أقترب من الله ..) ولقد وعظها الاب مرتان مرة بشكل قاس وهبط من مستواه الالهي فذعرت وقالت..(التهبت وجنتاي فأخذت أنظر بذعر الى الدجال الذي كنت أعتبره طوال سنوات ممثل الاله .. وتركت كرسي الاعتراف ورأسي من نار عازفة الا أعود اليه أبدا .. ومنذ ذلك اليوم تمت القطيعة بيننا .. ابتعدت منذ بضعة أشهر عن تناول القربان لاني فقدت ايماني ..)

لم يبق أمام فتاتنا الا الكتاب والمستقبل المشرق والطبيعة وهنا تتدخل اسرتها بمراقبة كتبها .. (ظل أبي وأمي يراقبان مطالعاتي ولا يتركان بين يدي باستثناء الكتب الادبية المتعلقة بالدراسة الا عددا صغيرا من المؤلفات المختارة) ولكن أرضخت طفلتنا الجامحة لسلطة الاهل طويلا .. كلا والف كلا .. فسرعان ما امتدت يدها بثبات الى مكتبة البيت فقرأت (ليالي موسية وجميع مؤلفاته واعترافات فتى العصر وموباسان .. وكنت كلما وجدتني وحيدة في البيت اقرأ بحرية جميع كتب المكتبة .. وبعدت الهوة بيني وبين اسرتي .. لم تعد أختي تحبني في غير ما تحفظ وكان أبي يجدني قبيحة ويغيظه ذلك وكانت أمي تحاذر هذا التبدل الذي كانت تلحظه علي) ..

ومن هنا بدأ قلقها الفعلي ، ذاك القلق البناء الذي كانت تعيشه بعنف صديقتها زازا..تلك الصديقة المتفوقة التي كان لها أثر كبير في تكوين فتاتنا والتي بقيت تحت سيطرتها طوال حياتها وفي موتها استردت سيمون حريتها لقد قالت .. (كنا لقد كافحنا معا ضد القدر الذي كان يترصدنا ولقد فكرت طويلا بأني اشتريت بموتها حريتي) انها قلقة حائرة وحيدة .. وحب قريبها جاك يعذبها ، تحبه ولكن ليس ذاك الحب الذي ترغب به ، انها تطلب من الحب الشيء الكثير .. (ان اللذة تبقى قذرة اذا لم تصهر بنار العاطفة ، ثم اني كنت متطرفة ، كنت أريد أما كل شيء وأما لا شيء واذا أحببت فسأحب الى الابد وسأنخرط بكليتي بقلبي وفكري وجسمي وماضي) ولهذا كانت تثور على حبها لقريبها .. (وسقطت مجددا في القلق الا استطيع أن أنتزع نفسي منه هو الذي كنت أثور عليه أحيانا ؟ انني أحبه ، أحبه حبا جنونيا ولاأدري اذا كان خلق لي) وكان هذا السؤال لا أدري اذا كان خلق لي ؟ يقلقها .. كانت تدرك في أعماقها الواعية انه لم يخلق لها ، فهي رصينة وهو متهور رغم ذكائه وشخصيته وسعة اطلاعه . (ان أول ميزاتي رصانتي.. رصانة قاسية لا تلين ولقد بدوت منذ طفولتي ذات شخصية متطرفة ، وكنت بذلك فخورة ، ولقد كان الاخرون يقفون في منتصف الطريق بين الايمان والشك فكنت أحتقر فتورهم لاني كنت أنطلق مع مشاعري الى نهايتها ومع أفكاري ..)

وبدأ قلق كاتبتنا المبدعة يأخذ شكلا مرعبا ، قلقها من حبها الذي لا يرضيها ، انه يسعدها ولكن أتكفي السعادة، لا هنالك أشياء وأشياء .. لذا صاحت بعد أن تركها جاك وقضت معه أمسية مرحة جدا .. (وبعد ذهابه تلاشيت وأنا أقول أن عندي كل شيء لاكون سعيدة ذلك فأود أن أموت ان الحياة هناك ترصدني وهي على وشك أن تنقض علي انني وحيدة لم ، وأنا خائفة وسأظل وحيدة أبدا .. لو كان بامكاني أن أفر ولكن الى أين ؟ الى أي مكان .. ؟ حبذا لو يأخذنا زلزال كبير) ومن هنا تبدأ مشكلة كبيرة بحياة أديبتنا مشكلة فكرية عميقة.. انها بذور فكرية لم تتوضح بعد .. تريد أن تعرف أن تدهش من حولها ولكن كيف .. درست الفلسفة في المدرسة ولكن عبثا .. (لم تفتح الفلسفة لي السماء ولم ترسني على الارض .. قرأت بريتون وأراغون وأستولت

علي السريالية في حين بدأت تسحرني مبالغات النكران •• تحطيم الفن والاخلاق واللغة واليأس المدفوع الى الانتحار ••)

عادت تعمل بعنف وتقرأ الساعات الطوال علها تجد نفسها الضائعة •• (كنت الزم مقعدي من التاسعة صباحا حتى السادسة مساء في المكتبة الوطنية •• وكنت أحاول مساء اذ أعود الى البيت ان اقرأ غوته وسرفانيس وتشيكوف ••) وأخذت تنظر الى العالم البعيد •• هناك عالما مغلقا دونها لماذا لا تلجه علها تجد نفسها في خضمه الفسيح وما كانت ملكت نفسها الى حد ما بعد أن انتسبت الى الجامعة •• فأخذت تخرج وحيدة وعاد حديث جاك عن المشارب يدوي في أعماقها ، ان الحياة هنالك مثيرة حقا وجذابة ومليئة ، فاقتحمتها الفتاة الرصينة بجرأة وثبات وانتقلت من بار الى بار ومن مشرب الى آخر تريد أن تجد نفسها الضائعة رغم كل شيء •• (ومهما يكن من أمر ، فقد كان على الارض مكان أشعر فيه بالاطمئنان الجوكي الذي ألفته وكنت ألفي فيه وجوها أعرفها وأجد مزيدا من المتعة فيه وكان حسبي أن أتناول كاسا من الجن حتى تذوب وحدتي فيغدو جميع الرجال أخوة لي ويحل بيننا التفاهم والحب••وكنت أرقص وتشدني الاذرع فيشعر جسمي ألوانا من الهرب والاستسلام أشد تهدئة ومتعة من ألوان ذهولي •• ولم أكن أفهم شيئا عن الاشخاص الذين كانوا يحيطون بي ولكن ذلك كان عندي سواء •• لقد كنت أجد الضياع وكان عندي شعور بأني لمست الحرية أخيرا لمس اليد) •• وضاعت في الحانات والصخب ولكنها بقيت مع ذلك رصينة رصينة تجاه فكرة آمنت بها وهي الحب الكامل وكانت تعيب على الانسان الذي يهب جسده لاخر لا يحبه •• (لم أكن طبعا أزعم أن على الفتاة أن تلح الى ما لا نهاية على الاحتفاظ ببكارتها ولكني كنت أقنع نفسي بأن من الممكن الاحتفال في السرير باقامة قداس أبيض •• فان الحب الحقيقي يسمو بالعناق الجسدي وان الفتاة الطاهرة تتحول بجذل وهي بين ذراعي رجلها المختار الى امرأة مشرقة

وقد كنت أحب فرانيس جامس لانه كان يصور الشهوة بألوان بسيطة كأنها ماء ينبوع ، وكنت أحب على الاخص كلوديل لانه كان يمجد في الجسد حضور الروح حضورا حسيا مدهشا •• وكذلك أخذت على نيزان وزوجته لانهما كانا يدعوان الى اباحية جنسية تامة •• وكنت أبرر نفوري كما كنت أبرره وأنا في السابعة عشرة ، ان كل شيء يسير على ما يرام اذا أطاع الجسم الرأس والقلب ولا ينبغي أن يتقدم عليهما ••)

واشتد ضياعها أكثر فأكثر بين المكتبة والحانة •• (ورطبت نفسي في الدخان والخمر والتبغ كما يغرق المؤمن في رائحة البخور والشموع حين يخرج من أزمة جفاف •• جاز نساء رقص كلام قذر خمر مداعبات••) ومع ضياعها بين المكتبة والحانة نفرت من كليهما معا •• (ان محلي لم يكن في الحانات ولا في المكتبات فاين هو اذن ؟) وهنا خطر السؤال ؟ والمشكلة ؟ ولكن الفتاة الرصينة التي تعرف موهبتها ومكانتها سرعان ما تجد الجواب والحل الايجابي••(واني لم أكن أجد الخلاص بكل تأكيد الا في الادب ، وقد بدأت أفكر برواية جديدة بطلتها فتاة هي أنا •• ولكن ضيقي استمر) وبدأت تشعر بحاجتها الى شيء يصهرها ويجعلها تذوب،والرجل قربها تصاحبه وتعيش معه هنا وهناك ، ولكن الرجل الذي تريد والذي خلقت له لم تصادفه •• انها تريد ذاك الرجل يمنحها الحب والاعجاب وتذوب فيه وترى نفسها طفلة صغيرة بين يديه •• وكل من حولها رجال عاديون تقف منهم موقف الند للند •• (الواقع اني لم الق بينهم أحدا أدهشني •• كان قلبي يخفق لهذا ولذاك وللجميع معا •• وشعوري بالتفوق ومساواتي للرجل جعلت مني فتاة تختلف عن الآخرين وكان يغريني أن أجمع في نفسي قلب امرأة وعقل رجل ••) ولهذا اشتدت وحدتها وكبر ضياعها •• (ان في رغبة شيطانية حاضرة منذ زمن للضجة والصراع والوحشية والغوص في الدوامة •• فماذا ينقصني اليوم •• أنا أيضا لكي أصبح مدمنة على المورفين والخمر ولا أدري ماذا أيضا،

ربما لن أكون بحاجة الى أكثر من فرصة أو الى المزيد من الجوع الى ما أعرفه أبدا ..) لذا تصبح تريد الحياة كلها وأشعر اني فضولية نهمة ، نهمة الى أن أحترق بأعنف من أية فتاة أخرى كان اللهب الذي يحرق ..)

وتدور الدوامة والفتاة بين الحانة والمكتبة وتدور معها أفكارها ومبادؤها ورغبتها في الحب المسيطر والرجل الذي يشدها فلا تقول له لا .. بل لواردات لما استطاعت .. انها ستجد هذا يوما ولكن الى ان تلتقي به .. تعيش كئيبة وحيدة ، وتتساءل لماذا .. ؟ ولا تجد الجواب .. وعمق شعورها الانساني ووضح وأحبت الانسان أينما وجد هذا الانسان ووجدت المبررات عمل حتى لاولئك الخاطئين .. (كل يعمل ما يروقه) وشيئا فشيئا أخذت تجد نفسها في العمل والحياة وتعيش ساعاتهاالحاضرة.. (وكنت أشجع نفسي على أن أعيش كل يوم بيومه بلا أمل أو خوف ..) وتستمر في دورانها وتخبطها وحياتها القلقة رغم امتلائها الى أن تلتقي بسارتر .. فعملت المعجزة التي انتظرتها والتقت بانسانها الذيشدهاوسيطر عليها .. كان طالبا في السربون يهيىء مثلها الليسانس ويؤلف مع زمرة من اثنين من زملائه هيريو ونيزان زمرة خاصة لهم حياتهم الخاصة ومفهومهم الفلسفي .. ومنذ اللقاء الاول شعرت بالدهشة وهتفت انه هو .. (لكن سارتر كان دائما ينتصر علي) وهذا الاعتراف ليس بالسهل من التي كانت تضع نفسها فوق الآخرين باستمرار ثم تقول بكبرياء .. (ها هو وتقصد سارتر اذا الآن مسرور جدا بان يتمكن من الاستئثار بي .. أما أنا فيخيل الي أن جميع الاوقات التي لم أقضها معه كانت أوقاتا ضائعة ..) ولنستمع اليها تتحدث عنه ببساطة وعفوية ودون تحفظ .. (كان يكره التحذلق كرها شديدا ، ولكن ذهنه كان متيقظا أبدا..كان يجهل الحذروالنعاس والفرار والهدنة والاحتراس وكان يهتم لكل شيء ولا يعتبر أي شيء مبتوتا بامره وكان اذا ما واجه شيئا ينظر اليه بصراحة بدلا من أن يتجنبه لصالح خرافة أو كلمة أو انفعال أو فكرة مسبقة ولا يتركه قبل أن يستوفي أسبابه ومسبباته ومختلف معانيه ..) ثم تقول وكان يفهمني على ضوء قيمي ومشاريعي .. وكان أعمق مني علما بكل شيء ، ولكن تفوقه الذي كان يبرز لعيني انما كان يكمن في هذه الحماسية المتزنة التي كانت تدفعه نحو تلك الكتب التي كان ينوي تأليفها .. لقد كنت أحسبني شاذة لاني لم أكن أتصور أن أعيش من غير أن أكتب اما هو فلا يعيش الا ليكتب .. ولم يكن قط ليقول لنفسه انه كان « أحدا » وان له « قيمة » ، بخلاف ما كان يحدث لي ، ولكنه كان يعتقد ان حقائق هامة قد انكشفت له وان مهمته ان يفرضها على العالم ..) وتجد نفسها بعد أن التقت بسارتر انسانة ثانية .. (كانت هذه المرة الاولى التي أشعر فيها بان انسانا يستولي علي فكريا .. وقد كنت أقيس نفسي بسارتر كل يوم فأجد اني لا وزن لي ازاءه في المناقشات .. لقد جادلته وأنا أتخبط طوال ثلاث ساعات وكان علي بعد ذلك أن أعترف بهزيمتي ، ثم اني لاحظت في أثناء النقاش أن كثيرا من آرائي لم تكن تعتمد الا على نزعات مغرضة أو على تضليل أو على عناد وان حججي كانت عرجاء وان أفكاري كانت مضطربة) لذلك كتبت في دفترها بتلك الحقبة..(لست بعد على يقين مما أفكر به بل لست على يقين أني كنت أفكر حقا ..)

ونتمنى أن نعرف كيف عاشت سيمون مع رجلها وكيف أحبها وتبادلا الحب..ولكن سيمون فتاتناالموهوبة تقف هنا في مذكراتها .. تقف في العشرين من عمرها مع نجاحها في الليسانس وتركها أهلها وحياتها منفردة تمارس حريتها وحبها وتعيش فلسفتها وأفكارها . والنشوة تلفها من لقائها بسارتر .. ذاك اللقاء الذي نعرف انه أنتج أروع نتاج لجيل الضائعين .. ومنح فلسفة كاملة عن الانسان الفرد وقيمته ووجوده الحقيقي وحريته المسؤولة ..

ذاكر ياترى

تأليف : أم عصام

نقـد : اسماعيل حسني

درج نقدة الادب في اقليمنا على أن ينكروا وجود حركة أدبية حقيقية ، تتمتع بما يتمتع به الادب الاصيل البناء من مميزات ؟ ولشد ما يحزنني انصراف القراء عن الادب الصحيح ، الى التافه من الكلام ، يلقى في غير عناية ولا تدقيق ، في مجلة مصورة سيارة ، عن المجلة الادبية التي يشقى صاحبها أيما شقاء ، في جمع موادها ، وانتقاء كتابها ، ليجعل منها صورة حية عن أدبنا النابض بالحركة ، النابع من صميم واقعنا ، الهادف الى مستقبل أفضل . ثم انصراف القراء عن الكتاب الجدي ، ذي المادة الفكرية الدسمة ، الذي يبذل صاحبه دم قلبه ، وعصارة فكره ، في اظهاره بمظهر لائق بنتاج فكري انساني ، منبثق عن الاصالة العربية النقية ، ومعبر عن آمالنا فيما نبتغي من بعث مجد قديم ، وبناء مجد تليد ، ليكون لنا مكان تحت الشمس ، جدير بأمتنا العريقة العظيمة ، قمين بآمالنا الكبار ، في مستقبل وضاح وضاء مشرق ، مليء بالمفاخر ، مفعم بالامجاد ، متوج بالمآثر .

ومؤلفة هذه الاقاصيص : « ذاكر ياترى » هي احدى فضليات نسائنا ، انطوت نفسها على شاعرية فياضة بالرؤى العذاب ، وانسانية رائعة المعاني ، وتفهم عميق لمشاكلنا الاجتماعية ، ووقوف شامل على عواطف المرأة في بلدنا ، ولقد جاءت أقاصيصها تعبيرا صادق عن شعور المرأة بقضايا المرأة ، وأحاسيسها الدقيق بما يعتور عواطفها من صعاب ، وما تصطدم به في حياتها من عقاب .

وان من مظاهر نهضتنا الحديثة ، انفساح المجال أمام المرأة لتعمل ، وتعدد المناحي التي اشتركت فيها ، ولقد ضمنت لها الوحدة المباركة ، كل ما كانت تبتغيه من حرية اجتماعية وفردية ، وأخذت تظهر في المجال الادبي وغيره ، مواهب كانت دفينة العادات ، وأخذت تشتهر في الشعر عبقريات كانت رهينة التقاليد .

والسيدة « أم عصام » خديجة الجراح النشواتي هي احدى هذه المواهب الادبية التي تتضح . وسأحاول في هذه العجالة ، أن أقدم كتابها الى القراء ، وان أنقل اليهم تأثري بما قرأت ، في حديث هو أقرب الى الخواطر منه الى النقد ، فما يزال أدب المؤلفة غضا غريضا لا يحتمل النقد ، ولسنا في مجاله ، بل انني وجدت فيه من الاخلاص ما دفع هذه الافكار الى ذهني ، ووددت أن يطلع عليها القارىء الكريم .

وأول ما يتميز القارىء في أقاصيص المؤلفة ، رومانتيكية ذات لون شرقي ساحر ، وروح عربية أصيلة ، فيها النبل والوفاء ، وفيها الحب أعمق الحب ، والاخلاص أشد الاخلاص ، والتضحية من أجلهما حتى الفناء فيهما .

تقول في قصتها ذاكر ياترى ؟ :

« ربما يأتي يوم ينس فيها وجهها .. وينس أنه رآه في فرصة ما !

لقد أصبح لها كل شيء .. حلم الليالي .. وزهرة الاحلام العاطرة ..

هو لليلها المصباح ، ولنهارها الاشراق والجمال ..

أترى جمالا بعد اليوم الا في وجهه ؟

أترى سكينة الا في دربه ؟

أتعرف طعم الحب الا بين ذراعيه ؟

أتحس بالهناءة الا في قربه ؟ »

وفي موضع آخر :

« سامحك الله وهنأ بك زوجك ! ..

ما ذنبها .. أنا أحبها كما أحبك ، هي قطعة منك وتحمل اسمك .

وستحمل لك الاولاد يوما .

أتمنى أن أراهم .. لارى فيهم شبه أبيهم . »

وبعد قليل نرى تعليلا لحب بطلة القصة سمر زوجة حبيبها عامر :

« ان سمر تحب تلك الزوجة من أعماقها ، اليست زوجة عامر ، ألا يجدر بتلك الزوجة أن تحب « سمر » لانها تحب زوجها !

والمؤلفة مغرمة بالليل ، بالرغم من قسوته وطوله ، تناجيه وتتحدث اليه ، تبثه شكواها ، ولا تمل البث والحديث والنجوى :

« معك ياليل تستيقظ ذكرياتي بعد أن غفت

فلم لا ترقد معك مشاعري وأغواري

لقد كان نهاري قلقا ياليل .. ولا أعلم لذلك القلق سببا ..

لقد كانت نقمتي صامتة .. نقمة على الحياة ، على الاشراق الذي يعكس الضنى على النفس .

والقصة ذات العنوان « وريقات الخريف » مثل جميل على شاعرية الاسلوب لدى الاديبة ، نتبين منه انها أخضعت القصة لشاعريتها ، فالموضوع سبيل التنفس عن عاطفتها الانسانية ، تقول في قصتها هذه على لسان البطلة : «واستكان جسدي بين ذراعيه .. وتحت الياسمين هناك .. ولاول مرة .. ضمني بقوة .. قوة الحب المتأصل في الاعماق ، وركنت لضمته ، وقد أخذت أنفاسي تلهث .. وقلبي يغوص مع همسته : حبيبتي ، وأقتديت همسته من أذني .. وزحفت .. زحفت شفتاه على صفحة خدي .. حتى التقت بشفتي وغبنا معا .. غبنا في قبل من نار .. ونور .. شمل قلبينا .. وحبنا الوليد هذا . ومضى الليل .. معه .. وبين ذراعيه . ودخلت مع بزوغ الفجر الى غرفتي .. وارتميت على سريري .. متهالكة . سعيدة . »

وفي قصتها ياليل تتحدث عن صديقة بذلت لها من مالها ما شدت به أزرها ، وأعانتها على تحقيق أمل من آمالها ، فتهتز لاريحية هذه الصديقة :

« لقد هزني عملها هذا ، هزا .. لقد أسكتني نبلها

لقد آثرت في طيبتها .. وثقتها ..

لقد أراحتني بسموها من قلقي وعذابي .

وسالت عبراتي .. عبرات الشكر .. وخلت أن الدنيا فارغة ..

فارغة من الكلمات .. من أي شيء يمكن أن يعبر عن مشاعري في تلك اللحظة ..

تمنيت أن أضمها الى صدري .. أن أغسل يديها بدموعي ..

ترى ما أسعدنا لو فكر كل منا بأن يعمل عملا من أجل الآخرين . »

والكتاب يضم أربعة عشرة اقصوصة أو خاطرة ، مادتها موضوعية ، أخذت حوادثها من الحياة اليومية والبيئة الدمشقية ، واتسمت بسمة الدفاع عن قلب المرأة وعواطفها وتحليل شخصيتها ؛ والتجارب المأساوية من حياتها ، فهي دوما موضع عبث الرجل ، الرجل الوحش المتقلب اللاهي ، بينما ترى الكاتبة الاديبة أن عواطف المرأة لرجلها تقربها من العابدة في محراب الحب والاخلاص :

« الحياة مثل .. واخلاص ..

الحياة غنية بالعواطف السامية .. الزاخرة بالمعاني الرفيعة ..

الحياة حب .. يعيش بين حنايا الضلوع .. ينخر فيها آناء الليل ، وأطراف النهار ..

الحياة عاطفة ، تحيا في الاعماق : تسعد وتشقي صاحبها .. وفي سعادتها وشقائها كل اللذة ..

الحياة عبادة وصلاة لانسان هو بعد الاله . »

ويلعب القدر الدور الرئيسي في قصص الاديبة أم عصام ، مما يذكرنا بمؤلفي المأساة اليونانيين القدماء ، وهذه القدرية لدى الكاتبة انما هي في الحقيقة تبرير

العدد الماضي في الميزان

صوت صارخ في البرية : أعدوا طريق الرب ، اصنعوا سبله مستقيمة ، الهاوية فاغرة فمها لتبتلع ٠٠ الادعياء٠

هوذا رب الحقل متأبطا منجله الراعف ليجتث الاشواك ، الآخذة برقاب الورود ٠

ومالك الكرم يحمل فأسه الحاد ، ويده على أصل الشجرة ، وكل شجرة لا تعطي ثمرا جيدا تقطع ، وتطرح في النار ٠

وصاحب البيدر يتكتف مذراته ، أما الحب ــ حب موسمه الطيب ــ فتحمله الفعلة الى اهرائه ، ويلقي التبن والزؤان في نار لا تطفأ ٠

وها هوذا « ابن الانسان » يضع « منظاره » على عينيه، منظاره الذي يخترق الصدور ، وينفذ منها الى مطارح الاحساس ، فيرصد الخلجات ، والنأمات ، ويده على رأسه ليتقي « الضربات العشر »

الشعراء أبناء الآلهة ، لهم كل ممكناتها من خلق وابداع ، وتسام في الخلق والابداع ، فالشاعر « ابن الانسان » يجلس في الاعالي ، وترفع اليه القرابين ، والربيع الخضل مرمى عينيه ٠

أما « الهجين » فيلتقط ما يتناثر من فتات المائدة ، وفي طريقه يربض « التنين » المخيف ٠

* * *

وبين الناقد والكاتب أزمة مستعصية، وخلاف مستحكم، منشؤهما عدم وجود المقاييس ، لتقييم الاثر الادبي ، وابراز النواحي الجمالية ، فكرا ، وفنا ، وعرضا ٠

وذوق الناقد وحده هو كل شيء في الموضوع ، ولكن الى أي مدى يتجاوب مع الذوق العام ، علما بان الذوق العام متحفز ، متبدل ، متقلب ، تبعا للزمان ، والمكان ، وان شئت فقل : تبعا للحادثة ٠

ومع كل هذه الصعوبات ، وبرغم كل هذه المحاذير ، ترى مجلة « الثقافة » وجوب الاتصال بآثار الادباء والشعراء منهم بصورة خاصة وتقييم هذه الآثار مستعينة بالاسس التالية :

أولا : الفكرة العامة ، ومدى غنائها ، وهل تضيف الى تراثنا أثرا جماليا ، وترفا فكريا ، أو بتعبير أوضح ، تجعلنا أغنى مما كنا ٠

ثانيا : العرض ، عرض التسلسل المنطقي للحادثة ، وينطوي تحته الاداء لفظا ، وتركيبا ، وقوة الانفعال ، والحركة ، وايجابية هذا الانفعال عند القارىء ، أو سلبيته ٠

ثالثا : عدم التقيد بالاشخاص ، والنظر الى الاثر مجردا ، فلا يغضبن الذين « يبس غارهم » فحسبهم : انه كان في يوم من الايام على رؤوسهم الغار مخضوضرا ، نضيرا ، عبقا ٠

أطياف

شعر ابي سلمى ، والمأساة التي عاشها توأمان ، والعاطفة الاصيلة ، غير المستدعاة ، تقتضي هذه البساطة ، والسهولة ، والهلهلة ، والطابع الغنائي

أما التوثب ، أما الابداع ، فليسا من طبيعة هذا اللون من الشعر ٠

كبرياء

الاسلوب « المحنط » ، وسطحية التفكير ، يطغوان على هذه القطعة ، ويبعدانها عن الامر ، والجزالة ، والعمق ٠٠

للمخطىء والتماس العذر له على ما يقترف من اثم ، فالانسان يستطيع الى حد كبير أن يسطر قدره بمتانة خلقه ، ورجاحة عقله وحسن تدبيره ٠ تقول :

« وأخذتها سنة الكرى وقد اسلمت أمرها الى ما يخبئه لها القدر ٠٠ »

وفي مكان آخر : « ما أقسى حكمك أيها القدر »

ثم : « ولم ندر آنذاك ما خبأه لنا القدر »

وفي القصة الاولى : « ياللاقدار !! ما فعلت بي ؟ وكيف سيرتني ! »

والحق أن القدر يلعب دورا كبيرا في حياتنا ، ولولا اعتمادنا عليه ، واسلاسنا قيادنا له ، واستسلامنا اليه ، لكنا قد تقدمنا منذ زمن بعيد ، ولاصبحنا اليوم في حالة من اليقظة والازدهار أكبر مما نحن فيه من يقظة وازدهار ٠

ولا يخلو الكتاب من بعض الهنات الهينات في اللغة والانشاء لا ريب أن أديبتنا ، وقد أوتيت احساسا مرهفا ، وذوقا رفيعا ، وثقافة متينة ، سوف تتداركها فيما ستقدم بعد اليوم من انتاج أدبي الى المكتبة العربية ٠

ودخول هذه « البأ » « بالاباء » ، « بالهناء » لا يرتاح اليهما الاداء الشعري الاصيل . ولست أعلم كيف تتسق « الوان الرجاء » والكاس التي لم تزل زاهية بالمنى .. بالمواعيد ، مع الآهات الحرى ، وبؤس الحيرة ، والدرب المملوءة شوكا ودماء .

ويلاحظ في هذه الابيات انفعالات نفسية غير مترابطة، وغير منسقة ، وكثير من صورها نافرة في الانسياق المتطامن ، وقلقة في المكان المطمئن .

أما موت الحب في سبيل الكبرياء ، فمثل أعلى تعطيه الشاعرة لكل بنات « آكلة التفاحة » وقديما ماتت كبرياء « حواء » في سبيل رغبة عابرة فأضاعت الفردوس .

نجمة الصبح

لا وعينيك أيها السم فافتك بالسقيم المنهوك من أحشائي أعوزتني صداقة الناس،فاملأ بحطام الاوهام فقر فضائي

يطغى اليأس على النفس فتضع حدا لمأساتها ، وعبد المطلب الامين ينتحر على اقدام الحياة ، والاحياء . فيسحقانه باقدامهما الفولاذية ، ويمران على أشلائه ساخرين ، هازئين . وفات الشاعر أن القوي هو ابن الحياة البكر ، وكل ثوب تلبسه الحياة يهترأ أمام القوة .

والقطعة أبلغ تعبير عن الالم الطاغي العارم ، والسخرية المريرة ، وهل كانت السخرية الا رد فعل الالم في ذروة طغيانه ؟؟

ويلاحظ على هذه المقطوعة كثرة « الطباق والمقابلة » .. الصبح الليالي ، الظلماء .. الضياء ، الذلة .. الكبرياء ، ابتداء .. انتهاء . ومع هذا « الالتزام » العفوي، استطاع الشاعر أن يعرض مأساته ويطوف بنا في أجوائه اليائسة ، المدلهمة .

أما لفظتنا « عقبا ، وعتقا » فلا ترتاح اليهما السلالة التي تنتظم كل أبيات القصيدة .

أحبك

محاولة « موفقة » الى حد بعيد للرمزية الكلاسيكية ان صح هذا التعبير ، ومع اعجابي بهذه القصيدة فاني أرغب التجاوز عن « التشاويق » كلفظة ، .. « وشفاه الازل » كصورة ، لان الاغراق في الصورة لدرجة عدم ارتسام ظل لها في الذهن من عيوب « الرمزية » .

ان شرط « الرمز » الا تفهم الرمز العقول

النشيد الاول

هذا شاعر عرف رسالة اللفظة ، فأرسلها تحمل نورها ، وعطورها ، ودنياواتها ، لكنه ـ وهو المتذوق ـ، غير راض ـ على ما أظن ـ عن الالفاظ التالية : حجر ، السنبال ، مشلع ، .. ولا عن التعابير . التلمس الاسود، اصفرار المحال .

أما « الحشف البالي » فهي على بداوتها ، وثقلها على السمع واللسان من بنات الطيب الذكر « امرىء القيس » لكن الشاعر استباها واستباحها لنفسه ، وقديما عرف « السبي » .

ويهزك الجمال ، والشعور المتدفق في :

وتطل القصور خضراء في أرض بلادي ، رواسيا كالجبال
تعرش النعمة القوي عليها في فنون ، ورقة ، ودلال
أغرت الشمس ...
تغسل القصر من ظلام وتدعوه الى ركبها .. وراء الخيال

أما هذه الصورة :

ألعدنان جبهة الشمس سمراء،وصوت الدنا،وفصل المقال
اله الراية الظليلة كالرحمة رفت على الذرى ، والتلال
فهي لفظا ، وفكرا ، وعرضا ، لبدوي الجبل
هذه الارض ملك قحطان ، واليوم لقحطان ، والغد المأمول
و . و . و .

والفارق بينهما أن الشاعر « الجنيدي » يستفهم متشككا ، بينما « بدوي الجبل » يقرر مؤمنا مطمئنا .

بقيت كلمة أخيرة نهمسها في اذن الشاعر ، وهي : أن الملحمة لم يعرفها الشعر العربي في أدواره التاريخية :

البقية على الصفحة ٦٤

تتمة ما نشر على الصفحة ٦٣

ولا يستدعيها ويقتضيها الخيال العربي ، المتحفز ، المستوفز ، وروحية العصر لا تقرها ، فعصر «السندويش» لا يترك مجالا للتبسط والتملي من الملاحم ، بل من طبعه الميل الى اختصار الزمن في لحظات معدودة .

الطبيعة الآثمة

يحاول الشاعر ـ جاهدا ـ أن يجسم المعقولات ليضع يده ـ وفي نفسه جوع هاصر وظمأ ناهش ـ على جمالاتها، ويتملاها ، فالصبح سكران ، والدجى رحيق ، والصبح يهفو للعناق ، والطبيعة تعبت من العناق ، والوديان تنهد لاهثة ، متعبة ، مكدودة تحت الذرى .

ان تنسيق الصور وتجسيمها عمل عقلي تجانبه العاطفة ، وكثيرا ما يحمل الشاعر الفاظه فوق طاقتها فتنوء بكثافتها ، وتتململ الصورة ، وقد تتراءى باهتة .

وداعبت عجز الاوراد فانبثقت تلهو بها في حمى الاوراق أغصـــان .

قلنا : ان العاطفة في هاته القصيدة متلجلجة ، تتراءى من وراء الابعاد رغم محاولة الشاعر اذكاءها وابرازها . والشاعر في «طبيعته الآثمة» «يتقمص» الاسلوب والمعاني الاندلسية .

عـابرة

وهذا « المسعور الرغاب » يذوب ، يحترق ، يتلاشى على أقدام هذه الحسناء التي صاغها هذا المرابي من فتن الألوهة ، ويطلب اليه بعفوية ودالة ، وجرأة ، ان « يأذن لهما » أن يطفئا سعارها .

ارفق بهـــا فالحسن قـــد تعبت روائعـه ببابي
يهوى شراب الحب من شفتي ، من شهدي ، وصابي
يهوى لقائي وحده « فأذن » كفاك .. كفاك ما بي

أما نهداها فأسطوريان ، بدعة في الخلق والتحول ، فهما كقرني الوعل كثيرا التشعب ، متعددا « المناقير » ولفظتا دم بتشديد الميم و « أغض » بصيغة التفضيل فغير واردتين قياسا واصطلاحا .

وزوبعة العبير ، والساقان والنهدان تكاد تكون «ماركة مسجلة » للشاعر نزار القباني ، ويخشى ان يقاضيه لدى حماية « الماركات المسجلة » وتظهر المحاكاة ـ محاكاة الشاعر لنزار قباني ـ في الموضوعية ، وجزئياتها، وحتى في الاخراج ،

أما هذه القوافل من النقط والتي بلغت ١٧٥ فقط !! فقد اسرف الشاعر في استخدامها .

وفي الانصـاف القول : ان تساوق النغم ، وتزاوج الالفاظ ، وحيويتها ، وتأجج العاطفة ، والنهم ، النهم في اكتناه الفكرة ، كلها متوفرة في هذه القصيدة .

الفهرست